محمود عبد الرزاق

الجهاد طريق نصر

دار التعارف للمطبوعات
بيروت - لبنان



الجهـــاد
طريق نصر

محمود عبد الرزّاق

الجهاد طريق نصر

دار التعارف للمطبوعات
بيروت - لبنان

الطبعة الاولى

بيروت - لبنان

١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م



الإهداء

إلى طلائع الجهاد الاسلامي ، الذين يقدمون كل يوم ، عظيم التضحيات في سبيل إسلامهم وإعلاء كلمة الله في الأرض ..

إلى الذين يجاهدون لأجل رسالتهم الاسلامية ، وإحقاق الحق ، وتحرير الانسان من العبودية والذلّ ..

إلى المجاهدين الأحرار ، والثوّار الأبطال ، في مواجهة العدو الصهيوني ، والصليبي ..

محمود

بسم الله الرحمن الرحيم

« يا أيها الذين آمنوا !.

هل أدلكم على تجارة تنجيكم ..

من عذاب أليم ؟..

تؤمنون بالله ..

ورسوله ..

وتجاهدون في سبيل الله :

بأموالكم ..

وأنفسكم ..

ذلكم خير لكم ..

ان كنتم تعلمون . »

صدق الله العلي العظيم

المقدّمة

و « كرامتنا من الله .. الشهادة » .. و « ما منا إلا مسموم أو مقتول » .

كان آباؤنا كذلك

وماذا الآن ..؟

. . .

●

ما هو أوسع باب ينفتح على الجنة ؟

الإمام علي – ع – يقول انه باب « الجهاد » ..

ولكن هل يستطيع كل الناس أن يلجوا فيه ، ما دام هو الباب الأوسع ؟

لا .. لأنه وان كان واسعاً جداً ، ولكنه « باب خاص » لا يدخله إلا أولياء الله الخصوصيّون ، ورفاقه المقرّبون .

يقول – عليه السلام – :

« الا .. وان الجهاد باب من
« أبواب الجنة ،فتحه الله لخاصة
« أوليائه » !

ويا للحظ العظيم الذي يحصل عليه « خاصة أولياء الله »

عندما ينتهون من هذا الباب .

●

الموت : قدر .. وهو لا بدّ يأتي .

وبعد الموت ؟

– الجنة ، أو النار .

– سعادة أبدية ، أو شقاء دائم ..

فالموت باب وكل الناس داخله

يا ليت شعري بعد الباب ما الدارُ ؟

الدّار .. جنات عدن ان عملت بما

يرضى الإله ، وان قصّرت فالنـــارُ

ولكن .. إذا كان الموت شهادة في سبيـل الله ، فهو ليس باباً ، انه بركة تطهير ، تغسل ذنوب الانسان جميعاً ، فيدخل « جنات عدن » عرضها السموات والأرض .. نقيـاً كالأنداء ، جميلاً كالفجر ، خفيفاً كالنسـيم .

ألم يقل رسول لله – ص - :

« الشهادة : حسنة ، لا تضرّ

« معها سيئة » ؟.

●

إذا عرفت « كيف تموت؟» فأنت تعرف « كيف تعيش » . ولكن ما دمت لا تعرف كيف تموت ، ولا حاولت أن تختار موتك ، فحياتك تافهة .

انها العبث الكبير الذي تخدع به نفسك .

فالنهاية هي التي تحكم على البداية . لأن النهاية الجيدة هي التي تكشف عن البداية الجيدة . والعكس بالعكس .

والسؤال الآن هو :

لماذا كان علينا أن نختار النهاية موتاً في سبيل الله ؟

والجواب :

لأن الجهاد ، تكريس للحياة السعيدة. والمجاهدون هم السياج الأحمر الذي يحرس الواحات الخضراء .

وكما يقول الشاعر :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى

حتى يراق على جوانبــــه الدم

لا .. لا يسلم الشرف الرفيــع ..

ولا تسلم الرسالة ..

ولا يسلم الانسان .. حتى يكون هناك دمٌ مستمر ، يعطى الدفء ، ويصنع حاجز خوف يمنع العدوّ من اقتحام الشرف ،

وقتل الرسالة ، وسحق الانسان .

●

هل الجهاد ضرورة ..؟

ان حقائق الحياة تقول ، ان الجهاد هو الضرورة الوحيدة التي لا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال .

فما دام هناك ظلم ، فلا بدّ أن تكون : « مقاومة » .

وما دام هنـــاك مقاومة ، فلا بدّ أن يكون هنالك: « موت » !

ولذلك كان الجهاد : ضرورة .

ضرورة ردع الظالم ، وضرورة إنقاذ المظلوم .

ان كل انتصار ، حققه الانسان على وجه الأرض كان نتيجة صراع ، ونتيجة جهاد .

وهل يمكن حذف الصراع من حياة الانسان ؟

وهل تقوم الحيـــاة إلا على أكتاف الصراع : صراع الحق والباطل ، صراع الخير والشر ، صراع الانسان والشيطان ؟

منذ خلق الله آدم ، خلق معه ابليس ،بل ان الله خلق ابليس قبل أن يخلق آدم .

فكان صراع آدم ، وابليس .

وكان صراع قابيل ، وهابيل .

وكان صراع الأنبياء مع الطواغيت .

وكان صراع المسحوقين مع المترفين ..

وكلما تملّص الانسان من مسئوليات الصراع، كلما سقط قتيلاً في حضن ابليس ..

ويا للضيعة أن يسقط الانسان في حضن ابليس !

●

وكما قلت أولاً :

أعترف انني عاجز عن الكلام كلما كان الحديث للسلاح .

والقلم ليس كفؤاً أن يقارع البندقية ..

ولكن لا بأس أن نسلك معاً « طريق نصر » لعلها ترسم لنا معالم عن الجهاد .

والله ولي التوفيق .

بانكوك / ١٩٧٥ م المؤلف

الجهـــاد ..
طريق نصر

واقع السلام والحرب .. في الاسلام !.

لماذا بعث الله سبحانه وتعالى رسلاً إلى البشر ؟..

نستطيع معرفة الاجابة على هذا السؤال من خلال الإيمان بالله أولاً .. حيث نتوصل إلى ضرورة بعث الله الأنبياء والرسل إلى الناس ، بعد أن خلق الله الانسان على الأرض وكان يعلم انه يعيث ويفسد فيها ، ويسير في جهل وظلام بدون هدى .

وهذا ما تكفل الاجابة والتأكيد عليه كافـــة الأنبياء الـ (١٢٤,٠٠٠) الذين كانوا يخوضون صراعات عنيفة ومستمرة مع الجهل ، والشر ، والظلام . ومع رفـاق الجهل ، والشر والظلام .

تُقتل الأنبياء مرة .. وينسحب الظلام مرة .. وهكذا طوال التاريـخ وحتى بزوغ فجر الرسالة الاسلاميـة في مكة المكرمة ، حيث رفض الباطل – كعادته – أن يستسلم للحق..

ورفض الليل أن ينسحب أمـام النهار ، بل .. اندفع يقاوم ويتشبث بمواقعه ويهدد الفجر بالقتل والاعدام .

وهنا كان لا بد للنور وللحق .. أن يستخدم القوة والعنف والسلاح لشق طريقه في الحياة ؛ وذلك من أجل :

١ – حماية المؤمنين حتى لا يفتنوا عن دينهم ، وكف القوة عنهم بالقوة . لأن الدعوة بالحسنى هنا لا تجدي ، وليس هذا مكانها . فالعنف لا يقابل إلا بالعنف .

٢ – كفالة حرية العمل، وإزالة كل قوة طاغية تمنع أن تصل دعوة الاسلام إلى الناس كافة ..

٣ – إقرار سلطان الله في الأرض ، ودفع المعتدين على هذا السلطان ذلك السلطان الذي ولدت الحركة الاسلامية في مكة من أجل ترسيخه في النفوس . وفي واقع الحياة .

٤ – إقامة العدالة الكبرى في الأرض،وإسعاد البشرية بهذه العدالة في كل ميادينها ، سواء كانت خاصة بالأفراد في المجتمع ، أو بالجماعات في الأمة ، أو بالأمم التي تعيش على هذه الأرض .

وهـــذا التكليف يُحتّم على المسلمين أن يسحقوا ربوبيـة الطواغيت وحاكميتهم ، وان يكافحوا الظلم والبغي حيث كان ، ولو كان ظلم الفرد لنفسه ؛ أو ظلم الجماعة لنفسها؛ أو ظلم الدولة لرعاياها .. فحيثما كان على وجه هذه الأرض ظلم ، فالأمة المسلمة

مكلفة أن تكافح هذا الفساد ، وأن تزيل أسبابه ، لا لمجرد أن تملك الأرض ، بل لتحقق كلمة الله في الأرض خالصة من كل غرض ، وتفرض ربوبية الله وحاكميته وعدله .

وهذا هو ما يطلق عليه في الاسلام « الجهاد في سبيل الله » أي الجهاد لتحقيق ربوبية الله للعباد لتكون كلمة الله هي العليا، و كلمة الباطل هي السفلى .

والجهاد في سبيل الله ليس – بأي حال من الأحوال – لإكراه الناس على الإيمان بل لاتاحة الفرصة ليتخلصوا من ربوبية الطواغيت .. ويملكوا حرية الاختيار دون تدخل من القوى الطاغية الضالة ، ويتمتعوا بالعدل المطلق الذي يريده لهم الله :

« الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت . »

٧٦ / النساء

وذلك مفترق الطرق بين الجهاد في سبيل الله ، والجهاد في سبيل الشهوات . والشيطان .

ان الاسلام يرتكز على السلم قبل أن يدعو للحرب والقتال فهو إنما جاء لكي يصنع سلاماً عادلاً بين بني الانسان .

فالسلم قاعدة .. والحرب ضرورة !

من هذه المعادلة المنسجمة مع طبيعة الكون ، وروح الحياة.. نعرف أن السلام هو القاعدة الدائمة في الإسلام ، والحرب هي الاستثناء الذي تقتضيه بعض الظروف الاستثنائية المتمثلة في البغي والظلم والفساد والاستغلال ..

وأظلم الظلم الشرك بالله .. وأفسد الفساد أن يعبد الإنسان غير الله .

وفي هذا المجال حينما تفشل كل المحاولات السلمية. يأتي الجهاد لـكي يضع الحد الفاصل للطغيان على سلطان الله ..

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.. »

٣٩ / الانفال

والاسلام ينفي منذ الخطوة الأولى معظم الأسباب التي تثير في الأرض الحروب ، والتي تلجأ الانسان إلى السلاح والعنف . وأكبر مثل لهذا : ان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، منذ بداية الانطلاقة السماوية – الاسلام – ، ومنذ أن أخذ مسؤولية الرسالة العالمية الثقيلة بعاتقه لم يشن حرباً ولا معركة ضد البغي والظلم .. واستمرت الدعوة بصورة سلمية وبأسلوب التبليـغ بالحكمة والموعظة الحسنة حتى الهجرة إلى المدينة .

وفي المهجر « المدينة » ، نزلت أول آية قتالية جهادية تحرض المسلمين على القتال ضد الفساد والطاغوت .

وأن يكون الدين كله لله .. والأرض كلها لله .. لماذا ؟

لأن قوى الكفر والشرك بدأت بحملات عسكرية ضد المسلمين في المدينة . مستهدفين القضاء على هذا الدين الذي أخذ يزحف إلى مناطق النفوذ التي كانت تحكمها الوثنية الطاغية .

لذلك كان على المسلمين أن يدافعوا عن أنفسهم من أجل البقاء .. وهنا كان تشريع القتال .. وضرورة الجهاد ، ليس للاستغلال والسيطرة وإنما من أجل الدفاع عن المستضعفين ، وفي سبيل الذب عن دين الله ، ومبدأ السماء .

والإسلام .. لذلك يستبعد من قاموسه كل الحروب التي تشنها القومية العنصرية ، فلا مجال للقومية العنصرية في هذا الدين ، وهو يقرر أن الناس كلهم من أصل واحد ، وانهم خلقوا كلهم من نفس واحدة ، وانهم جعلوا شعوباً وقبائل ليتعارفوا ، لا .. ليتقاتلوا ..

ويذم الحروب والمعارك التي تشنها المطامع والمنافع : حروب الاستعمار والاستغلال والاستثمار ، والبحث عن الأسواق المستهلكة للانتاج ، والحصول على المواد الخام ، واسترقاق المرافق والرجال .

كل هذه الحروب البغيضة لا محل لها في الإسلام الذي يعتبر البشرية كلها وحدة متعاونة .

ان العالم الإسلامي - حينما كان الإسلام يضع برنامجاً لحياته - كان يجعل هذه العبارات شعاراً له :

« إنما المؤمنون أخوة » ..

« الناس صنفان :

« اما أخ لك في الدين ..

« أو نظير لك في الخلق » ..

المسلم يشعر بأن كل البشر إنما هم أخوانه أو نظرائه وليسوا هم أعداء له .. رغم اختلاف الجنس واللغة والبيئة .

وفي هذا المجال يقول « آرنولد توينبي » في كتابه : (الإسلام والغرب والمستقبل) :

« الآن يظهر أن القانون الاسلامي في اخوة الانسان للانسان هو مثل أعلى يوافق حاجات العصر الاجتماعية ، وهو أفضل من التقليد الغربي الذي أدى إلى قيـــام عشرات الدول الصغيرة والكبيرة على أساس الاختلاف القومي » ..

ويضيف قائلاً :

« ومن المأمول أن يستطيع العالم الاسلامي ، على كل حال إيقاف انتشار هذا الداء السياسي الغربي - القومية - وذلـك

عن طريق الشعور الإسلامي القوي بالوحدة »[1].

ان الإسلام يأمر بالتعاون على البر والتقوى ؛ لا على الاثم والعدوان [الحرب الاستغلالية] ، وهو يحرم السلب والنهب والغصب ، وهو يعدل بين البشرية كلها بالعدل المطلق ، لا فارق بين جنس أو لون ، أو عنصر ، في الاستمتاع الكامل بعدل الله في ظل شريعة الله ، وفي النظام الذي أقره الله .

فهل من الضروري ، حقاً ، أن يتفتت العالم الإسلامي كما تفتت الامبراطورية الاسبانية في أميركا ، إلى عشرين دولة منفصلة عن بعضها البعض تعيش في قوالب ضيقة النمط ؟!

ولا يتم الحديث عن السلام الذي يهدف إليه الإسلام لترسيخه على وجه الأرض ، حتى نشير إلى المجالات التي يشملها السلام في الإسلام .

إن الإسلام في طبيعته المترابطة الواحدة في النظرة إلى الحياة ، لا يجزّىء السلام ، ولا يحصره في حقل مفرد من حقول الحياة . إنما يجعل السلام كله وحدة مترابطة تشمل الحياة ، ويحاول تحقيقه في كل حقل ، ويربط بينه وبين النظرة الكلية الموحدة للكون .

---

(١) الاسلام والغرب والمستقبل .. ص (٢٨) .

ولذلك تصبح كلمة « السلام » التي يعنيها الإسلام ، ذات دلالة أعمق وأشمل من معناه الذي تتعارف عليه الدول في هذه الأيام . فهو السلام الذي يحقق كلمة الله في الأرض من الحرية والعدل والأمن لجميع الناس وفي جميع الحقول والمجالات .. الحياتية ، وليس مجرد الكف عن الحرب ، بالرغم من كل ما يقع في الأرض من ظلم وفساد ! ومهما يكن في الأرض من طاغوت واعتداء على سلطان الله وألوهيته !.

« وحين يحاول الاسلام إقرار السلام الشامل وفق مبادئه العليا في تحقيق كلمة الله ، لا يبدأ في مجال السلام الدولي ، فتلك نهاية المرحلة لا بدايتها . وما السلام الدولي إلا الحلقة الأخيرة التي تسبقها حلقات » .

« إن الإسلام يبدأ محاولة السلام أولاً في ضمير الفرد ، ثم في محيط الأسرة، ثم في وسط الجماعة. وأخيراً يحاول في الميدان الدولي بين الأمم والشعوب » .[1]

ان الدين الإسلامي يركز على هذه النقطة وينشد السلام في علاقة الفرد بربه ، وفي علاقة الفرد بنفسه ، وفي علاقة الفرد بالجماعة .

---

(١) السلام العالمي والاسلام .

ثم ينشده في علاقة الطائفة بالطوائف ، وعلاقـة الأفراد بالحكومات . ثم ينشده في علاقـــة الدولة بالدول بعد تلك الخطوات .

إذن فهـدف الإسلام على الأرض هو أن يزيل فساد الشر والطغيان ، ويغرس مكان الفساد .. الخير والصلاح للبشرية ..

– ولكن ماذا حينما يكتشف الطغاة والجبابرة أهداف هذا الدين العظيم ، ويحسون بخطورة هداية الانسان وإنقاذه من هاوية الشر وبؤرة الفساد ، إلى جنـة العدل والقسط ، وحينما يبدأون بمقاومة هذا التيار بأسلوب العنف والسلاح .. ويحملون معول الهدم لكيان هذا الدين الجديد .؟

– ماذا لو اشتدت مقاومة الأعداء لسلطان الله تعالى، ودخلت في اطار استعمال القوة ، وممارسة النشاط المسلح ..؟

– هل تبقى جبهـة الاسلام مكتوفة اليـد ، تبتلع الأسن ، وتسكت على الضربات والهجمات المتتالية ..؟

– أم أن هناك طريقاً رسمه الإسلام للدفاع عن الحق ، ورد الرصاصـــة إلى صدور المعتدين ، من أجل ترسيـخ الاسلام ..؟

– وباختصار ما هي كلمة الاسلام في الحرب ..؟

- وكيف يجعل « الحرب » يخدم « السلام » ..؟

- وما هي « القيم » التي تتحكم في « حروب » الاسلام لكي تبقى نظيفة ، ونزيهة من أية شائبة استغلالية ..؟

هذا ما نحاول الإجابة عليه في الفصول القادمة ..

لا إكراه في الدين .!

ماذا هو الاسلام ؟.

الاسلام ليس إلا إعلانـــاً صارخاً لتحرير (الانسان) في (الأرض) من العبودية للذات .. والهوى .. والشهوة .. والشيطان ، وذلك باعلان الوهية الله وحده – سبحانـــه – وربوبيته للعالمين . وحاكميته المطلقة .

ان أعلان ربوبية الله وحده للعالمين معناه : الثورة الشاملة على سلطة البشر على البشر في كل صورها وأشكالها وأنظمتها وأساليبها ، والقضاء الكامل على كل نظام يمنـــح الحاكمية والالوهية للبشر بأي صورة من الصور ..

كما تصرح الآية الكريمة :

« .. ان الحكم إلا لله ، أمر ان لا تعبدوا

« إلاّ إياه .. ذلك الدين القيم .. » .
٤٠ / يوسف

ولكن قيام حكومة الله في الأرض، وإزالة حكومة البشر، وانتزاع السلطان من أيدي مغتصبيه من العباد ورده إلى الله وحده . وسيادة شريعة السماء وحدها وإلغاء القوانين البشرية والنظريات المادية وكسح الأفكار والأوهام السلبية ، وهدم كيان الجاهلية .. كل ذلك لا يتم بمجرد التبليغ والبيان فقط ، لأن المتسلطين على رقاب العباد، المغتصبين لسلطان الله في الأرض، لا يتنازلون عن سلطانهم وحكومتهم بمجرد التبليغ والبيان ، لأن مصالحهم المادية البحتة ، وخضوعهم للشيطان ، ولذة الديكتاتورية والزعامة والجاه ، لا يجوز لهم إلا مجابهة الحق وأصحاب الحقيقة .. ولا يستطيعون ترك الباطل وعدم التشبث بالجاهلية ، ورفض الانغماس في مستنقع أهوائهم وشهواتهم ، لأن الحق يحدد أعمالهم وحركاتهم وسكناتهم ، ولا يسمح لهم قيد أنملة أن يعبدوا شهواتهم وأهوائهم ، وإنما يأمرهم أن يعبدوا شريعة السماء ، وأن يبايعوا الله ، لأن يد الله فوق أيديهم .

حينذاك .. حينما يكتشفون خطر الاسلام على سلطانهم المزيف وحكومتهم الباطلة يقررون أن يقاتلوا ضد الحق والعدل والحرية ، وأن يحاربوا شريعة السماء .

هنا تأتي ضرورة الجهاد ، وضرورة مجابهة أصحاب المصالح المتعنتين بالعنف ، ورد هجماتهم الضارية بمثلها ..

وفي الحقيقة ، ان الحرب في الاسلام [الجهاد] إنما شرع لإزالة الذين يعترضون طريق العدل ، والسلام ، فالحرب هنا هي ضد من تسول له نفسه أن يقف حجر عثرة أمـام الحق ، وهداية البشر ..

من هنا ، فالحرب – في الاسلام – مشروعة ولكن ليس كهدف أخير وإنما كوسيلة لترسيخ العدل ، والحرية ، والسلام على وجه الأرض ..

وهـل كان من المنطقي أن يبقى الإسلام ، وينتشر دون أن يشرّع الحرب – كوسيلة ؟.

انهـــا سذاجة أن يتصور الانسان دعوة تعلن تحرير (الانسان) .. نوع الانسان .. (الأرض) .. كل الأرض .. ثم تقف أمام هذه العقبات ، وأمام كل أولئك الطغاة ، وتجاهد باللسان والبيان فقط !. انها تجاهد باللسان والبيان حينما يخلى بينها وبين الأفراد ، تخاطبهم بحرية ، وهم مطلقوا السراح من جميع تلك المؤثرات .. فهنا « لا إكراه في الدين » .. أما حين توجد تلك العقبات والمؤثرات المادية ، والعبادة للديكتاتورية ، والخضوع أمام الأنظمة العنصرية .. فلا بد من إزالتها بأي شكل من الأشكال ، ولو بالقوة ، ومواجهتها بالقتال ..

فالجهاد في سبيل الله ضرورة للدعوة .. والسلام ..

وهنا يصرح الله – سبحانه – في كتابه العظيم ، بوجوب مواجهة الكفار وإزالة الفتنة من على وجه الأرض قائلاً :

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة . ويكون « الدين كله لله ... »

٣٩/ الانفال

وماذا ؟.
عن الواقع المعاصر

..أمّا اليوم فاننا نرى ان الاستعمار الغربي قد رسخ جذوره في معظم البــلاد الاسلامية ، وخيّم على أفكار ومنـاهج المجتمعات الآسيوية والافريقية .. وأخذ يشتت ويمزق هيكل الإسلام بأنيابه الجشعة ، منذ أن اكتشف خطورة هذا الدين ، على مصالحه وسلطته المزيفة .

وقبل اليوم :

عندما ظهر الوثنيون التتار وحكموا المسلمين في بغداد وقعت المأساة الدامية التي سجلتها الصفحات السوداء في التاريخ ، والتي نكتفي بهذا البند من تاريخ أبي الفداء (ابن كثير) المسمى : « البداية والنهاية » فيما رواه من أحداث عام ٦٥٦ هـ :

« ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال

والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان . ودخل كثير من الناس في الآبار، وأماكن الحشوش، وقنى الوسخ، وكمنوا كذلك أياماً لا يظهرون . وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ، ويغلقون عليهم الأبواب ففتحها التتار ، إما بالكسر ، وإما بالنار ، ثم يدخلون عليهم ، فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة ، فيقتلونهم بالأسطحة ، حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة ، كذلك في المساجد والجوامع والربط . ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجأ إليهم [1] . وطائفة من التجار أخذوا ينبلون عليهم أموالاً جزيلة حتى سلموا وسلمت أموالهم وعادت بغداد بعدما كانت آنس المدن كلها كأنها خراب ، ليس فيها إلا القليل من الناس ، وهم في خوف وجوع وذلة وقلة » .

هذه صورة من الواقع التاريخي ، حينما ظهر المشركون .. على المسلمين .

أما الواقع التاريخي الحديث فلا يختلف عن هذه الصورة!..

---

(١) ذلك ان اليهود والنصارى (من أهل الذمة) كانوا ممن كاتب التتار لغزو عاصمة الخلافة ، والقضاء على الاسلام والمسلمين فيها ؛ وممن دلوا على عورات المدينة ، وشاركوا مشاركة فعلية في هذه الكارثة . واستقبلوا التتار الوثنيين بالترحاب ، ليقضوا كلهم على المسلمين الذين أعطوهم ذمتهم ووفروا لهم الأمن والحماية .

ان ما فعله الوثنيون الهنود عند انفصال باكستان لا يقل شناعة ولا بشاعة عما فعله التتار في ذلك الزمان البعيد .

ان ثمانية ملايين من المهاجرين المسلمين من الهند ، هم ـ ممن أفزعتهم الهجمات البربرية المتوحشة على المسلمين الباقين في الهند فآثروا الهجرة على البقاء – وقد وصل منهم إلى أطراف باكستان ثلاثة ملايين ليس إلا ! أما الملايين الخمسة الباقية فقد قضي عليهم بالطريق حيث طلعت عليهم العصابات الهندية الوثنية المنظمة المعروفة من قبل الدولة الهندية ، فذبحتهم كالخراف على طول الطريق ، وتركت جثثهم نهباً للطير والوحش ، بعد التمثيل بها ببشاعة منكرة لا تقل – ان لم تزد – على ما صنعه التتار مع المسلمين من أهل بغداد !..

أما المأساة المروعة البشعة المنظمة فكانت في ركاب القطار الذي نقل الموظفين المسلمين في أنحاء الهند إلى باكستان ، حيث تم الاتفاق على هجرة من يريد الهجرة من الموظفين المسلمين في دوائر الهند إلى باكستان .. واجتمع في هذا القطار خمسون ألف موظف ، ودخل القطار بالخمسين ألف موظف في نفق بين الحدود الهندية الباكستانية يسمى (ممر خيبر) .. وخرج من الناحية الأخرى وليس فيه إلا أشلاء ممزقة متناثرة في القطار !.. لقد أوقفت العصابات الهندية الوثنية المدربة الموجهة ، القطار في النفق ، ولم تسمح له بالمضي في طريقه إلا بعد أن تحول الخمسون ألف موظف إلى أشلاء ودماء !..

وصدق قول الله سبحانه :

« كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاّ ولا ذمةً » .

٨ / التوبة

ولا تزال هذه المذابح تتكرر في صور شتى حتى الآن .. ثم ماذا فعل خلفاء التتار في الصين الشيوعية وروسيا الشيوعية بالمسلمين هناك ؟..

لقد أبادوا من المسلمين في خلال ربع قرن ستة وعشرين مليوناً [١] . بمعدل مليون في السنة وما تزال عمليات الابادة ماضية في الطريق .. ذلك غير وسائل التعذيب الجهنمية التي تقشعر لهولها الأبدان .

وقبل مدة وقع في القطاع الصيني من تركستان المسلمة ما يغطي على بشاعات التتار .. لقد جيء بأحد الزعماء المسلمين ، فحفرت له حفرة في الطريق العام . وكلف المسلمين تحت وطأة التعذيب والارهاب أن يأتوا بفضلاتهم الآدمية (التي تتسلمها الدولة من الأهالي جميعاً لتستخدمها في السماد مقابل ما تصرفه لهم من الطعام !!!) فيلقوها على الزعيم المسلم في حفرته .. وظلت العملية ثلاثة أيام والرجل يختنق في الحفرة

---

(١) الاسبوع العربي – مجلة – العدد / ٥٣١ .

على هذا النحو حتى مات !

كذلك فعلت يوغسلافيا الشيوعية بالمسلمين فيهـــا . حتى أبادت منهم مليوناً منذ الفترة التي حكمتها الشيوعية بعد الحرب العالمية الثانية إلى اليوم . وما تزال عمليات الابادة والتعذيب الوحشي – التي من أمثلتها البشعة إلقاء المسلمين رجالاً ونساء في « مفارم » اللحوم التي تصنع لحوم (البولوبيف) ليخرجوا من الناحية الأخرى عجينة من اللحم والعظام والدماء – ماضية إلى الآن !!! [1]

وفي مقابل هذه العمليات الوحشية البشعة نصفق يداً على يد ونقول : (إنا لله وإنا إليه راجعون) ؟!.

إن الفلاح والصلاح والخير والرفاهيـة لا يأتي إلا بالشعور بالمسؤوليـة ، وتحملها ، حتى نزيـــل ونكسح الشر والظلم والطغيان من على رؤوس البشرية ، بتحقيـق دين الله على الأرض .

إن المشركين والطغاة قد زحفوا داخـل بلادنا ، وأخذوا يسحقون كياننا تحت أرجلهم ويبيدوننا ، ولكننا لا زلنـا نلوك هذه العبارة : « من المسؤول عن هذا الوضع ؟ » .

---

(١) المصدر .

يقول الله تعالى :

« وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » ..

٣٦/ التوبة

ولكن هل من مجيب ؟..

في الحقيقة إن الوضع الذي تعيشه الأمة الاسلامية لوضع مؤسف ، وباعث على التقزز .. إنه مأساة أن تنهار الحضارة الاسلامية العظيمة ، والمسلمون يقفون مكتوفي الأيدي ، مذهولين ، ينظرون إلى ما يصنع بهم الأعداء دون أي حراك ..

إن على المسلمين أن يواجهوا أعداءهم بكل قوة، وأن يحاولوا إعادة الاسلام إلى الحياة عن نفس الطريق الذي سار عليه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم : تارة بالسلم ، والحكمة ، والموعظة الحسنة .. وأخرى بالجهاد في سبيل الله .. جهاداً متواصلاً عادلاً ..

إن السكوت على الباطل ، والاغماض عن الحق إنما هو جريمة كبرى ونقض لعهد الله تعالى الذي أخذه على عباده في تثبيت الحق وترسيخ دعائم الخير ..

إن السكوت على الباطل إفساد في الأرض يحاسبنا الله تعالى

عليه ، ويصرخ بنا :

« والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ،
« ويقطعون ما أمر الله به أن يُوصَلَ ،
« ويُفسدون في الأرض ، أولئك لهم اللعنة ،
« ولهم سوءُ الدار . »

٢٥ / الرعد

متى ؟
يكون الجهاد ضرورة

ولدت الحركة السماوية الكبرى (الاسلام) بقيادة الرسول العظيم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم في مكة ، واستمرت الدعوة الرسالية لمدة ١٣ عاماً ، في مكة ، وبعد ذلك هاجر النبي القائد إلى المدينة وصنع من المدينة ركيزة انطلاق لحكومة الله في الأرض .

وعندما أصبح الرسول قائداً حياتياً - بالفعل - بكل ما في الحياة من أبعاد اجتماعية ، وسياسية ؛ اقتصادية ، وعسكرية وكوّن المجتمع الاسلامي في المدينة ، أخذت قريش تلملم من حوله ، وتعبىء جبهة ضد الكيان الاسلامي في المدينة المنورة .

وهنا كان التغيير الجذري في موقف الاسلام والمسلمين من جبهة الكفر، والشرك ..

قبل ذلك كان الإسلام يأمر المسلمين بالصمود، بالصبر، بتحدي كل الصعوبات، والضغوط .. ولم يكن على المسلمين أن يجابهوا العنف بالعنف، والقوة بالقوة .. لسببين :

أولاً – لضعف المسلمين عسكرياً، واستراتيجياً، ومن حيث الموقع السياسي والجغرافي .

ثانياً – لأن المعارضة الكافرة، لم تكن تستهدف بعد – استهدافاً حقيقياً – القضاء على الاسلام، لأنها لم تكن تعرف بعد الخطر الحقيقي الذي يشكله الاسلام على مصيرها ..

أما اليوم ..

وقد أصبحت المدينة كلها – تقريباً – تطيع الرسول العظيم «ص» أو على الأقل، لا تعارضه، وتسمح له بالتحرك والعمل .. هذا من جهة ..

ومن جهة أخرى .. بدأت قوى الكفر والشرك، تشعر بحجم «خطورة» الاسلام على مصالحها، ومنافعها، فبدأت التحرك المنظم، والمستهدف لقلع جذور الاسلام من

الوجود ..

كل هذه الحقائق الجديدة ، والمؤشرات الحادثـة غيرت من موقع الاسلام، والمسلمين، وفرضت على رسالة السماء استراتيجية أخرى .. غير التي كانت متبعة في مكة المكرمة ..

تلك هي استراتيجية الجهاد في سبيل الله ..

« والجهاد » يعني : أن يبذل المرء كل ما في وسعه من نفس، ومال ، وولد ، وجاه ، وكل شيء في سبيل الله ، أي في سبيل نشر الإيمان بالله ، ومقاتلة العدو – الذي يصر على أن يجعل من نفسه عقبة في طريق إنقاذ المستضعفين في الأرض – لتأمين حرية نشر الدعوة ، وتوطيد أركان الاسلام في هذه الدنيا .

والمجاهد في سبيل الله هو الذي يضمن لنفسه النجاة من عذاب الله .. وناره ! إذ ان الجهاد هو الطريق المؤدي إلى الجنة .

كما يصرح القرآن الكريم :

« يا أيها الذين آمنوا ، هل أدلـكم على تجارة تنجيكم
« من عذاب أليم ؛ تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون
« في سبيل الله بأموالـكم وأنفسكم ذلـكم خير لـكم
« إن كنتم تعلمون .

« يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها
« الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن، ذلك الفوز
« العظيم » .

الصف / ١٠-١٢

الجهـــاد ..
في واقع الأمة

الآن .. وقد عرفنا العوامـل الموضوعية المؤدية لتشريـع الجهاد في الاسلام . وفلسفة الرسالة الاسلاميـة في الحرب ، والمواجهة المسلحة مع الأعداء ، وشروط هذه المواجهة ..

الآن .. ننتقل لالتقاط بعض الصور الجهـادية من واقع التاريخ الاسلامي، لـكي نستطيع من تطبيق المبادىء، والمفاهيم، والقيم على الواقع التطبيقي ..

والفترة التي عاشها الرسول الأعظم « ص » مـــع الرسالة الإسلامية ، كانت الفترة الأكثر اتقاناً في أفضل الأساليب لتطبيق الاسلام .. لذلك كان يمكن أن نأخذ هذا الدرس – بالضبط – من هذه الفترة ..

ان حياة الرسول «ص» يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أدوار :

« دور التحشد ، ودور الدفـــاع عن العقيــدة ، ودور التكامل ...

١ – دور التحشد : فمن بعثته إلى هجرته إلى المدينـــة ، واستقراره هناك ؛ اقتصر الرسول العظيم على الحرب العقائدية ، يبشر وينذر ، ويحاول جاهداً نشر الاسلام ، لكي يكوّن الطليعة المجاهدة الأولى لقوات المسلمين ، وحشدهم في المدينـة (بالهجرة) إليها .

٢ – دور الدفاع عن العقيدة : وذلك منذ بـــدء الرسول بارسال سراياه وقواته للقتال ، فبهذا الدور ازداد عدد المسلمين .. فاستطاعوا الدفاع عن عقيدتهم ضد أعدائهم الأقوياء .

وأصبح المسلمون قوة ذات اعتبار وأثر في العالم ، فاستطاعوا سحق كل قوة تعرضت للاسلام .

٣ – دور التكامل : وهو من بعد غزوة حنين إلى أن التحق الرسول بالرفيق الأعلى ، فقد تكاملت قوات المسلمين بهذا الدور ، فشملت شبه الجزيرة العربية كلها ، وأخذت تحاول أن تجـد متنفساً لها خارج شبه الجزيرة العربيــة ، فكانت غزوة تبوك إيذاناً بمولد الامبراطورية الاسلامية ..

●

فسبب وجوب القتال على المسلمين هو ثلاثة أمور :

١ - صدّ العدو الخارجي .

٢ - إنقاذ المستضعفين .

٣ - تصفية وتصحيح الأخطاء الداخلية وإزاحة الانحراف.

فلندرس هذه الأمور الثلاثة في حياة الرسول (ص) :

القتال : صدّ العدو الخارجي :

صنع الرسول من المدينة مركزاً قيادياً لدعوته ورسالته ، ومعسكراً قتالياً ضد الأعداء والطغاة الذين كانوا يقذفون الأشواك في طريق الدعوة الاسلامية السامية لتحرير الانسان من عبادة الطاغوت .. وعبادة الأهواء ..

وبدأ النبي قتاله ضد الأعداء بنزول أول أمر سماوي بذلك فشنّ الحروب الثقيلة ضد الطغاة .. والأعداء ، وأصحاب المصالح والأهواء الذين جعلوا من أنفسهم حجر عثرة أمام تقدم الرسالة الاسلامية ، وحرية الانسان .

ويجب أن نقول أن الحروب الإسلامية التي قادها الرسول العظيم « ص » لم تكن عشوائية ، وإنما كانت مخططة بشكل مدروس ومنظم .

وقد أمر الله رسوله بتحريض وتشويق وتشجيع المؤمنين على الجهاد والقتال ، في آيات عديدة منها الآية الشريفة التالية :

« يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ، ان
« يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ،
« وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً ، من الذين
« كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » .

٦٥ / الأنفال

وبعد الهجرة إلى المدينة خطط الرسول للتآخي بين المهاجرين والأنصار ، وكان هدف النبي « ص » أن يشكل من مجتمع المدينة ؛ وحدة إسلامية متماسكة ، حتى ينفذ أهدافه الرسالية السياسية منها والاجتماعية ، والتربوية ، وخططه العسكرية .. لمواجهة الأعداء الذين أعلنوا الحرب الضارية ضد رسالة السماء وحامليها بصورة سريعة و (موثوقة) وتوحيد العقيدة في المركز ، وتبادل الثقة فيما بين الأفراد والمجاهدين .

●

تنظيم الجيش :

لم يكن الجيش الاسلامي فوضوياً ، ولم يكن أمره فرطاً.. فالنبي نظم معسكره الاسلامي ضد الأعداء والطغاة بنظام

متين ، وكوّن جيشاً ذا معنويات عالية ، وبأساليب حربية متفوقة ـ بالقياس لذلك العصر – مع وضع استراتيجية واضحة للنصر على العدو .

والقيادة العسكرية نوعان : خاصّة ، وعامّة .. أما الخاصة ، فتتعلق بسياسة الجيش العسكرية الخاصة فحسب ، وأما العامة فتتعلق بالشؤون الدبلوماسية والعسكرية . وتشمل واجبات القيادة العامة كما تشمل واجبات القيادة الخاصة ..

وملخصها :

١ – قيادة الجيش ، بما في ذلك العناية بالمحاربين والتجهيزات الحربية والعتاد .

٢ – توجيه القتال ، وحث الجيش ، ورفع معنوياته خلال الالتحام .

٣ – تطبيق الأوامر العسكرية بصورة مباغتة ، واستعمال الفنون الحربية عملاً بقول الرسول (الحرب خدعة) لحماية الجيش والعقيدة . وعلى القائد العسكري أيضاً أن يختار الموقع الاستراتيجي الأمثل للهجوم .

٤ – مراعاة الواجبات العسكرية كالكتمان ، وتنفيذ الأوامر ، والصبر عند الهجوم المباغت من العدو ، ومقاتلة العدو دون انسحاب ، والاطاعة الكاملة .

عملاً بالآية الشريفة :

« يا أيها الذين آمنوا اصبروا ، وصابروا
« ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

٢٠١ / آل عمران

والمسلمون ملزمون من ناحيتهم باطاعة أوامر القائد الأعلى والانصياع إلى قراراته في حال نشوب منازعات شخصية وقيادية .

والله – سبحانه – يذم الأوساط التي تتمزق لسبب النزاعات الشخصية :

« وأطيعوا الله ورسوله، ولا تنازعوا فتفشلوا،
« وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين».

٤٦ / الانفال

●

فضل الجهاد :

وفضّل اللهُ أمر الجهاد ضد الأعداء والطواغيت ويظهر ذلك جلياً في كثير من الآيات القرآنية ، وتصريحات الرسول العظيم ، والأئمة الطاهرين :

ففي القرآن المجيد نجد الآيات التالية :

« الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
« بأموالهم وأنفسهم ، أعظم درجة عنـــد الله
« وأولئك هم الفائزون .

« يبشرهم ربُهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم
« فيها نعيم مقيم .
« خالدين فيها أبداً ان الله عنده أجرٌ عظيم » .

٢٠ – ٢٢ / التوبة

ويقول الامام العظيم علي بن أبي طالب (ع) في منهاج حياتنا (نهج البلاغة) :

« ان الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصة
« أوليائه ، وهو لبـــاس التقوى ، ودرع الله
« الحصينة ، وجُنـَّتُـه [١] الوثيقة ، فمن تركه
« رغبة عنه [٢] ، ألبسه الله ثوب الذل ، وشمله
« البـــلاء ، وديُّثَ [٣] بالصغار والقماءة [٤] ،

---

(١) جنته : وقايته ، وكل ما يستر به ..
(٢) رغبة عنه : زهداً فيه .
(٣) دُيّث : ذُلل .
(٤) القماءة : الذل .

« وضُرِبَ على قلبه بالاسهاب[1] ، واديل الحقّ
« منه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف[2] ، ومنع
« النَّصَفَ[3] » .

(نهج البلاغة)

هنا يبين لنا الامام علي عليه السلام ، فضل الجهاد ضد أعداء الله وفي سبيل الله، عند الله، ودرجة المجاهد ، وذم الذين يلبسون ثوب المسؤولية بأجساد غيرهم ، ويفرون من الجهاد والقتال ضد الطواغيت في الأرض .

وفي مكان آخر يعظم الموت بالقتل لنفسه ، وبهذا الأسلوب يرفع معنويات جنوده وجيشه في معركة صفين ويقول :

« ان أكرم الموت القتل ! والذي نفس ابن أبي
« طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ
« من ميتة على الفراش في غير طاعة الله » !

(نهج البلاغة)

●

---

(١) الاسهاب : ذهاب العقل .
(٢) سيم الخسف : أولي الذل .
(٣) النَّصف : العدل .

أما نحن الذين ندعي بأننا من المؤمنين بالله ورسله . وكتبه . واليوم الآخر .. فعندما نرى هذا التحريض والحث المتوالي على القتال ضد الطغاة،والجهاد في سبيل الله..يجب علينا أن نثبت في ساحة العمل .

وحيث اننا مؤمنون ، يجب علينا أن نقتدي بالرسول .

ان النبي القائد «ص» ، كوّن جيشاً لصد العدوان . وكان كل فرد من الجنود يحمل معنوية راسخة من العقيدة التي كان يضرب بالسيف لأجلها ..

وأولى حروب النبي « ص » كانت غزوة بـدر الكبرى ، ولكي نلتقط بعض الدروس في الجهاد الإسلامي ، ندرس هذه الغزوة بصورة سريعة وخاطفة :

جيش المسلمين :

كانت قوات المسلمين فيغزوة بدر (٣١٣) رجلاً منالمهاجرين والأنصار بقيـادة الرسول « ص » .. وكان معهم َفرَسان فقط وسبعون بعيراً يعتقب الرجلان والثلاثة والأربعة على البعير الواحد .

جيش المشركين :

بلغت قوة المشركين (٩٥٠) رجلاً أكثرهم من قريش ، معهم

مائتا فرس يقودونها ، وعدد كبير من الابل لركوبهم ، وحمل أمتعتهم وكانت هذه القوة بقيادة عدد من رجالات قريش .

أهداف الطرفين ..

١ – المسلمون :

أ – الاستيلاء على القافلة التجارية لقريش التي كانت بقيادة أبي سفيان ؛ التي كان يحميها بين ثلاثين إلى أربعين رجلاً ، لأن الكفار ضربوا نطاقاً اقتصادياً حول المدينة ، فأراد الرسول أن يضرب نطاقاً اقتصادياً حول مكة ، مقابلاً لعملهم ، وأيضاً لأن الكفار استولوا في مكة على أموال المسلمين ، فأراد المسلمون بهذا العمل ، أن يكفّ الكفار عن أموالهم ، أو يقتصوا اقتصاصاً ، فلا عجب إذا رأينا المسلمين يفكرون جدياً في استخلاص أموالهم من قريش ، التي استولت على كل ممتلكات المسلمين في مكة .

ب – البقاء في (بدر) بعد إفلات القافلة حتى يشعر المشركون بقوة المسلمين فيهابوهم ، ويتركوا لهم حرية نشر الدعوة لدينهم .

٢ – المشركون :

أ – حماية القافلة التجارية القادمة من الشام .

ب – عند إفلات القافلة تضاربت الآراء في القتال أو العودة ، فتغلب رأي القائلين بالقتال . لتعرف العرب قوة قريش

وسطوتها .

•

قبل نشوب الحرب ..

خرج أبو سفيان في أوائل الخريف من السنة الثانية للهجرة في تجارة كبيرة إلى الشام ، وقد أراد المسلمون اعتراضها في غزوة (العشيرة) عند ذهابها إلى الشام، ولكنها تملصت منهم.

وتحين المسلمون عودتها من الشام ، فبعث الرسول طلحة بن عبد ، وسعيد بن زيد ، ينتظرانها، حتى إذا وصلا إلى (الحوراء) على طريق الشام – مكة ، مكثا هناك.. فلما مرت القافلة بهم، أسرعا إلى المسلمين يخبرانهم بأمرها ، فندب الرسول للمسلمين بالخروج ، وقال لهم :

« هذه عير قريش ، فاخرجوا إليها ، لعل الله ينفلكموها ».

وخفّ بعض الناس وثقل بعض ، لأنهم لم يظنوا أن الرسول سيخوض معركة حاسمة ضد المشركين، بل ظنوا أن هذه الغزوة ستكون عبارة عن مناوشات طفيفة ، كما حدث في السرايا والغزوات السابقة ، وأراد جماعة لم يكن قد أسلموا بعد أن ينظموا إلى المسلمين طمعاً في الغنيمة، فأبى النبي « صلى الله عليه وآله وسلم » ، عليهم الانضمام إلا إذا آمنوا بالله ورسوله .

ثم تحركت قوات المسلمين من المدينة لثمان خلون من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة بالترتيبات التالية :

١ – دورية استطلاعية أمامية ، للحصول على المعلومات عن اتجاهات القافلة التجارية ونوايا قريش .

٢ – القسم الأكبر [1] مؤلف من كتيبتين : كتيبة المهاجرين ورايتها مع الامام علي بن أبي طالب (ع) . وكتيبة الأنصار ورايتها مع سعد بن معاذ .

وهاتان الرايتان سوداوان .

٣ – مؤخرة بامرة قيس بن أبي صعصعة .

٤ – وراية مع مصعب بن عمير بن هاشم .

●

سلكت قوات المسلمين طريق القوافل بين المدينة وبدر ، البالغ طوله حوالي (١٦٠) كيلو متراً ، وقد قسم الرسول الابل المتيسرة وعددها سبعون بعيراً على أصحابه ، وكان من نصيبه مع علي بن أبي طالب عليه السلام، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي بعير واحد يعتقبونه .. تماماً كما يفعل أي فرد من قواته .

قال شريكا الرسول في البعير : « نحن نمشي عنك » . فقال :

---

(١) القسم الأكبر : تعبير عسكري يقصد به القوة الرئيسية من القطعات المتحركة لأغراض القتال .

« ما أنتما بأقوى مني ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما » . وأراد «ص» بذلك المساواة مع أي فرد من قواته .

ثم انطلق المسلمون مسرعين خوفاً من إفلات قافلة أبي سفيان منهم ، وبثوا عيونهم يتعرفون الأخبار ، فلما وصلوا قريباً من « الصفراء » بعث الرسول «ص» دورية استطلاعية قوتها رجلان، إلى بدر للحصول على المعلومات عن قريش وقافلتها ، فلما وصل المسلمون « وادي ذفران » جاءهم الخبر بخروج قريش من مكة لنجدة قافلتهم .

بعد ذلك أخبر الرسول أصحابه بما بلغه من أمر قريش طالباً مشورتهم فأدلى كل برأيه ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : « يا رسول الله : امض لما أمرك الله فنحن معك ، والله لا نقول كما قال بنو اسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا ، أنّا ها هنا قاعدون ؛ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا أنّا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى « برك الغماد[1] » لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه » .

فسكت الناس ، فقال الرسول : أشيروا عليّ أيها الناس ، وكان يريد بهذه الكلمة ، الأنصار الذين بايعوه يوم العقبة على أن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم ،ولم يبايعوه على صد اعتداء

---

(١) برك الغماد : موضع في اليمن . ويقال هو أقصى حجر .

خارج مدينتهم ، فكان الرسول يخشى ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن يهاجمه في المدينة .

فلما أحس الأنصار أن الرسول يريد سماع رأيهم ، قام سعد ابن معاذ ، وقال : « لكنك تريدنا يا رسول الله ؟ » فقال النبي (ص) : « أجل ! » .. قال سعد : « لقد آمنّا بك وصدّقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ، ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض لما أردت ، فنحن معك. فوالذي بعثك لو استعرضت بنا هذا البحر وخضته لخضنا معك وما تخلف منا رجل واحد،وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً : ان الصّبر في الحرب ، صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقرّبه عينك ، فسر بنا على بركة الله » .

وارتحلوا جميعاً حتى إذا كانوا على مقربة من بدر ، انطلق الرسول القائد (ص) أمام قواته ، حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد ، وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، قال الشيخ : « لا أخبرك حتى تخبرني (ممن) أنت ؟ » ..

قال الرسول : « إذا أخبرتنا أخبرناك » .

علم الرسول من الشيخ أن عير قريش قريبة منه..فقال«ص» لشيخ العرب:«نحن من ماء»–وقصد بذلك أن الله سبحانه خلق الانسان من الماء–.ثم انصرف«ص»والشيخ يقول:«ما من ماء؟..

أمن ماء العراق » .. وهكذا لم يخبره الرسول عن هويته حتى لا تعلم قريش بمواضع المسلمين .

ثم أرسل الرسول دوريتي استطلاع غرضهما الحصول على معلومات عن قوة قريش ومواضعها .

الدورية الأولى مؤلفة من الامـام علي بن أبي طالب (ع) والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، في نفر من أصحابه وقد استطاعت هذه الدورية الوصول إلى مـاء بدر ، وعادت ومعها غلامان لقريش ؛ فاستنطقهما الرسول ، وعلم منهما أن قريشاً وراء الكثيب (بالعدوة القصوى) ولما أجـابا « بأنهما لا يعرفان عدد رجال قريش » . سألهما : « كم ينحرون يومياً ؟ » فأجابا : « يوماً تسعاً ويوماً عشراً » .

فاستنبط الرسول الأعظم (ص) من ذلك أنهم بين التسعمائة والألف ، وعرف من الغلامين كذلك أن أشراف قريش جميعاً خرجوا لمنعه .

والدورية الثانية مؤلفة من رجلين من القوات وصلا ماء بدر ، فسمعا جارية تطالب صاحبتها بدين عليها ، والثانية تجيبها : « إنما تأتي العير غداً أو بعد غد ، فاعمل لهم ثم أقضيك الذي لك » . فعاد الرجلان فأخبرا الرسول بما سمعا .

●

تأهب المسلمون لخوض المعركة وعسكروا في أدنى ماء من بدر .

وأنجزوا بناء حوض خاص وملأوه ماء ، ثم غوروا المياه الأخرى ، وتم كل ذلك ليلاً ، ثم أخذوا قسطهم من الراحة بقية الليل ، ليكونوا أقوياء في الصراع الوشيك .

ومن هناك علم أبو سفيان بخروج الرسول محمد (ص) لاعتراض قافلته حين رحلته إلى الشام ، فخاف أن يعترضه قوات المسلمين حين عودته !

إذ ذاك قررت قريش الخروج لمحاربة المجاهدين في سبيل الله ، وتلويث الحق والعدالة الانسانية .

وسبق أبو سفيان قافلته للحصول على المعلومات عن قوة المسلمين ومواضعهم ، فلما ورد ماء بدر وجد عليه مجدي بن عمرو ، فسأله :

ـ « هل رأى أحداً من المسلمين ؟ » فأجاب مجدي : « لم أرَ إلا راكبين أناخا إلى هذا التل » ؛ وأشار إلى حيث أناخ الرجلان من المسلمين .

فحص أبو سفيان مناخهما ، فوجد في روث بعيريهما نوى عرفه في علائف يثرب ، فأدرك أن الرجلين من أصحاب رسول الله (ص) وان جيشه منه قريب . فرجع إلى القافلة ليغير طريقها

نحو الساحل ، تاركاً بدراً إلى يساره ، وأسرع في مسيره حتى بعدت المسافة بين القافلة وبين قوات المسلمين، وأرسل أبو سفيان إلى قريش يطلب منهم أن يعودوا أدراجهم إلى مكة لنجاة قافلتهم من المسلمين .

وأرسلت قريش عمير بن وهب الجمحي ليستطلع لهم قوة المسلمين ، فرجع إليهم ليخبرهم أنهم ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصون ولا كمين لهم ولا مدد ، ولكنهم قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، فلا يموت منهم رجل قبل أن يقتل رجلاً مثله . وتضاربت آراء قريش، فمنهم من يريد الرجوع منهم، بنو زهرة الذين رجعوا فعلاً ، ومنهم من يريد البقاء ، ومعنى ذلك الاصطدام بالمسلمين .

قال أبو جهل زعيم الذين أرادوا البقاء لقتال المسلمين : « والله لا نرجع حتى نرد بدراً فنقيم عليه ثلاثة ، ننحر الجزور، ونطعم الطعام ، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها » .

هذه الأمور السافرة كانت أهداف قريش للقتال، قتال الحق والعدالة والحرية .

نشوب الحرب :

١ / أنجز المسلمون قبل بدء القتال ما يلي :

أ – انتخب الرسول القائد (ص) موضعاً مشرفاً على منطقة القتال في بدر ، وبنى فيـــه مقره – العريش – وأمن حراسة هذا المقر .

ب – جرى ترتيب وأسلوب المقاتلين في (صفوف) وساوى الرسول بين الصفوف بعد أن شجع أصحابه وحرضهم على الصبر في القتال .

وأمر الرسول (ص) أصحابه أن يصدوا هجمات المشركين على الجبهة وهم مرابطون في مواقعهم ، وقال لهم :

– « إذا اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل ، ولا تحملوا عليهم حتى توذنوا » .

جـ – كانت كلمة التعارف أي الرمز بين المسلمين في القتال هو : « أحد .. أحد » ..

٢ / دخل المسلمون المعركة بالأسلوب الآنف الذكر : مقر قيادة كامل . وسيطرة لقائد واحد . وأسلوب جديد في القتال لم تعرفه العرب من قبل ، هو أسلوب « الصف » .

٣ / أما المشركون فقد مارسوا أسلوب قتـــال (الكرّ والفرّ) بدون قيادة ولا سيطرة ، بحيث جرى قتالهم كأفراد، لا كمجموعة موحدة .

٤ / بدأ المشركون بالهجوم أولاً ، إذ هجم الأسود بن عبد الأسد على الحوض الذي بناه المسلمون قائلاً :

- « أعاهد الله لأشربن من حوضهم ، أو لأهدّمنه ، أو لأموتن دونه ». فتصدى له حمزة بن عبد المطلب فضربه بالسيف ضربة أطارت نصف ساقه، ومع ذلك حبا إلى الحوض لاقتحامه، وتبعه حمزة يقاتله حتى قتله فيه .

٥ / برز من المشركين عتبة وشيبة ؛ ابنا ربيعة الوليد بن عتبة ، فخرج إليهم فتية من الأنصار ، ولكن الرسول أعادهم ، وطلب خروج الامام علي بن أبي طالب (ع) وأب الشهداء حمزة، وعبيدة بن الحارث . لأنهم من أهله فهو يؤثرهم بالخطر على غيرهم، ولأن شجاعتهم وممارستهم للقتال معروفة ، لذلك فإن نجاحهم مضمون على رجالات قريش . مما يرفع معنويات القوات المسلمة، ويخلخل معنويات المشركين .

بارز عبيدة: عتبة ، وبارز الامام علي (ع) : الوليد، وبارز حمزة (رض) : شيبة . فأمّا علي (ع) فلم يمهل وليد أن قتله ، وكذلك فعل حمزة . وأمّا عبيدة وعتبة فقد جرحا كلاهما ، فكتّر علي (ع) وحمزة بأسيافهما على عتبة ، فأجهزا عليه ، واحتملا صاحبهما .

٦ / استشاط المشركون غضباً لهذه البداية السيئة. فأمطروا

المسلمين وابلاً من السهام ، وهاجمتهم فرسانهم ، إلا أن صفوف المسلمين بقيت صامدة في مواضعها تصوب نبالها على المشركين متوخية إصابة ساداتهم بالدرجة الأولى ، ولم يفطن المشركون لأسلوب القوّات المجاهدين بوابل نبال المسلمين المصوبة تصويباً دقيقاً والمسيطر عليها .

٧ / ونزل الرسول (ص) بنفسه يقود صفوف قواتـه المؤمنة ، فأخذت هـذه الصفوف تقترب رويداً .. رويداً نحو مقر المشركين التي فقدت قادتهـا .. حتى تبعثرت صفوف المشركين .

وحينذاك فقط أصدر الرسول أمره لقواته : « شدّوا ».. ومعنى ذلك القيام بالمطاردة .

وبدأت مطاردة المسلمين لفلول المشركين ، وأخذوا يجمعون الغنائم والأسرى .

٨ / ابتدأت معركة بدر صباح يوم الجمعة (١٧/ رمضان) ،من السنة الثانية للهجرة . وانتهت مساءه وبقي المسلمون ثلاثة أيام في بدر بعد الحرب .. ثم غادروها عائدين إلى المدينـة فائزين كأس الانتصار على البغي والظلم .

●

خسائر الطرفين :

١ – المسلمون ..

استشهد من المجاهدين أربعة عشر شخصاً .

٢ – المشركون ..

ُقتل سبعون رجلاً وأُسر سبعون أيضاً ..

لماذا انتصر المسلمون؟

---

١ – قيادة موحدة:

كان الرسول الأعظم (ص) هو القائد العام للقوات في معركة (بدر) .. وكان المسلمون يعملون كيدٍ واحدة تحت قيادته الحكيمة:

يوجههم في الوقت الحاسم للمحل الحاسم للقيام بعمل حاسم، وهذا هو واجب القائد المثالي.

وكان لدى المسلمين والمجاهدين ضبط في تنفيذ الأوامر والخطط العسكرية، وكانوا ينفذون أوامر القيادة بأسرع وقت.

٢ – تعبئة جديدة:

طبق الرسول في (مسير الاقتراب) من المدينة إلى (بدر)،

تشكيلاً لا يختلف بتاتاً عن التعبئة الحديثة في حرب الصحراء حتى في العصر الحاضر .

أما في المعركة فقد قاتل القوات المسلمة بأسلوب (الصف) ، أو الصفوف ، بينما قاتل المشركون بأسلوب (الكرّ والفرّ) ، فكانت أسلوب الصفوف أكثر قابلية للدفاع والهجوم من أسلوب الكرّ والفرّ .

استعرض الرسول (ص) جيشه وقواته المسلمة قبل القتال ، فعندما رآهم يتزاحمون ويدنو بعضهم من بعض جعلهم صفوفاً وأخذ يعدل صفوفه .

وبعد ذلك خطب فيهم حاثاً إياهم على الجهاد في سبيل الله ، وقوّى معنوياتهم وإيمانهم بالأهداف التي كانوا يحملونها . فلما تهاوت قوات قريش وضعف زخم هجومهم،أصدر الرسول(ص) إلى المسلمين أمره بالهجوم ، ثم بالمطاردة بعد انهزام المشركين .

لقد طبق الرسول في بدر أسلوباً جديداً للقتال ، فانتصر..

٣ – عقيدة راسخة :

أرأيت كيف كان جواب المهاجرين والأنصار للرسول حين استشارهم في قتال قريش ؟

لقد علم المسلمون بأن قريشاً تفوقهم في العدد والآليات

الحربية وأن عدد قوات قريش ثلاثة أمثال عدد المسلمين ، ومع ذلك اعتزموا الصمود . كما علموا أن قافلة قريش فاتتهم ، فلم يبق هناك كسب مادي يرجونه ومع ذلك صمّموا على القتال .

لقد كان للمسلمين أهداف معينة يعرفونها ويؤمنون بها ، هي أن يحرزوا الحرية الكاملة لبث دعوتهم ، حتى تكون كلمة الله هي العليا .

٤ – معنويات عالية :

قال عبد الرحمن بن عوف : « اني لفي الصف يوم بدر ، إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن ، فكأني لم آمن بمكانهما ، إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه : يا عم ، أرني أبا جهل ، فقلت : يا ابن أخي ما تصنع به ؟ قال : عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه ..!

« قال لي الآخر سراً من صاحبه مثله ، فأشرت لهما إليه ، فشدّا عليه مثل الصقرين : فضرباه حتى قتلاه ، وهما أبناء عفراء ، وقد استشهد هذان البطلان في بدر » .

فإذا كانت معنويات الفتيان الأحداث بهذا المستوى الرفيع ، فكيف تكون معنويات الرجال ؟..

لقد أثبتت كافة الحروب في كافة أدوار التاريخ ، أن التسليح والتنظيم الجديدين والقوة العددية ، والكمية ، غير كافية

لنيل النصر ما لم يتحل المقاتلون بالمعنويات العالية، بالاضافة إلى التسليح والتنظيم .. مثلاً كان تنظيم وتسليح الايطاليين في الحرب العالمية الثانية ممتازاً ، كما كان عددهم ضخماً ، فلم يغن عنهم كل ذلك ، لأن معنوياتهم كانت منحطة .

لذلك كانوا عبئاً ثقيلاً على حلفائهم الألمـــان في كل معركة اشتركوا فيهـــا معهم . بل كان الحلفاء يعتبرون المناطق التي تشغلها القوات الايطالية فراغاً عسكرياً لا يكترث به !!

ان المعنويات العالية التي كان يتحلى بها المسلمون في بدر ، من أسباب نصرهم في تلك المعركة الحاسمة (١) » .

لقد كانت معركة بدر صراعاً حاسماً بين عقيدتين :

« يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ،
« ومأواهم جهنم وبئس المصير » .

٧٣ / التوبة

---

(١) الرسول القائد ..

الانتصار للمستضعفين !.

« وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله ، والمستضعفين من
« الرجال ، والنساء ، والولدان الذين يقولون : ربّنا
« أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من
« لدنك ولياً ، واجعل لنا من لدنك نصيراً » .

٧٥ / النساء

لهذه الأغراض العليا وحدها يحمل الاسلام السيف : (للعدو الخارجي) . . و(لإنقاذ المستضعفين) الذين يعيشون حالة الارهاب والتعذيب تحت وطأة السلطات الجائرة . . والظالمين .

عندما هاجر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إلى المدينة ، لم يبق في مكة أحد من المسلمين إلا القليل الذين لم يتمكنوا أو لم يكن باستطاعتهم الهجرة .

ففي هذه الحالة ، أخذ أفراد قريش هؤلاء المستضعفين تحت

التعذيب والإيذاء ..

ماذا كانت الجريمة التي اقترفها هؤلاء الرجال ، والنساء ، والكهول ؟..

كانت الجريمة هي الدخول في دين الله ، والتمسك بشريعة السماء الخالدة .

فهنا..في هذه الحالة من الواجب على المسلمين الذين ارتكزوا في قاعدتهم الأمينة – المدينة – أن ينقذوا هؤلاء الضعفاء ، والمشرّدين من تلك القرية الظالم أهلها ، حتى يحققوا لهم السعادة والرفاه .. تحت راية الإسلام ، وقيادة الرسول العظيم محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

أولئك المستضعفون لم يتمكنوا أن يدافعوا عن أنفسهم ، وأموالهم .. فالمسؤولية تقع على عاتق المعسكر الاسلامي ، والحكومة الاسلامية ..

فمن الواجب عليهم أن يواصلوا جهدهم لاقرار الأمن والخير لأولئك المستضعفين .

ففي الآية المذكورة ، يأمر الله ، وهو يخاطب المعسكر الاسلامي : لماذا لا تقاتلون الباطل لأجل إنقاذ المستضعفين من الرجال والنساء ، والولدان ، المضطهدين تحت وطأة الباطل ، والمعذبين تحت سياط الظلم والشر ؟..

فعلى القيادة الاسلامية أن تهجم وتغزو القرية الظالمـــة .. لأجل خلاص المؤمنين من مستنقع الذل والهلاك .

لأن أولئك المعذبين هم ناموس الحق ، وشرف الحقيقة . فإن الاعتداء عليهم ، يعني الاعتداء بنواميس المسلمين .. لماذا ؟ لأن المسلمين يشكلون سلسلة مترابطة قوية فيما بينهم ، فإذا قطعت وذابت حلقة من هذه السلسلة المترابطة ، محقت السلسلة كلها ..

وهنا تبرز الكلمات المشرقة من الامام علي (عليه السلام) ، حيث يخاطب جيشه لتحريضهم على الدفـــاع عن نواميسهم ، والهجوم لسحق جثة الباطل ، وكنسه من الوجود .. فيقول :

« أين المانعُ للذّمار [١] ، والغـــائرُ [٢] عند نزول
« الحقائق [٣] ، من أهل الحِفاظ [٤] ! العـــارُ ..
« ورائكم ، والجنة أمامكم ! » .

(نهج البلاغة)

---

(١) الذّمار : ما يلزم الرجل حفظه من أهله .
(٢) الغائر : من غار على امرأته أو قريبته أن يمسها أجنبي .
(٣) الحقائق : هنا وصف لا اسم.
(٤) الحفاظ : الوفاء ورعاية الذمم .

.. ولتصحيح الداخل ..

بعد أن التحق الرسول القائد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى ، انحرفت القيادة الاسلامية ، رويداً.. رويداً..

وكانت بداية الانحراف القيادي من تجاهـــل بيعة الغدير التاريخية التي أخذها الرسول من المؤمنين كافة على خلافة وامامة علي - عليه السلام - من بعد وفاته .

الكفاح المسلح :

وفي زمن عثمان بن عفـــان ، أصبح المجتمع الاسلامي مجتمعاً مستغلاً من قبل الرؤوس الكبيرة من رؤساء القبائل والولاة ..

في هذه المرحلة من الخلافة - بالذات - كانت الضربة المؤلمة للقيادة الاسلامية ، التي جاء بها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فعندما جاء القائد الحقيقي ، والذي عاش مدة ٢٥ عاماً ،

بعيداً عن القيادة ، والمجتمع المسلم ، علي بن أبي طالب ، أخذ يعدّل ويرتق اعوجاج وانحراف وتمزق المجتمع المسلم الذي رزح طويلاً تحت قيادة المصالح ، والأهواء ، والطبقية .

لكن الباطل لم يسمح للحق أن يحكم . فالمصالح والأهواء الباطلة قتلت هيكل الحق والحقيقة ، وشربت دماء المسلمين كما سحقت العدالة بقتلها القائد الاسلامي ، وهو في محراب الصلاة .

وبعد ذلك ظهر على ساحة القيادة .. الأمويون ، ثم العباسيون ، وهم بدورهم سحقوا كيان القيادة الاسلامية تحت مصالحهم المادية البشعة .

فهنا يجب على المعسكر الاسلامي أن يقوم بثورة تصحيحية وتغييرية ضد الانحرافات القيادية ، والذين فضّلوا مصالحهم المادية على الهدف الأسمى وشريعة السماء على الأرض .

فالواجب على كل جندي، وكل معسكر أن يقوم ضد البغي، والمصالح المادية التي تتجسد في عقليات المنحرفين المتنكرين لأهدافهم ، ووطنهم ، وشعبهم ولكن يجب أن يكون ذلك تحت قيادة الامام أو الفقيه الجامع للشرائط .

لأن الجيش كما يقول الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) عنهم :

« الجنود ، بإذن الله، حصون الرعية، وزين الولاة،

« وعزّ الدين ، وسُبُل الأمن ، وليس تقوم الرعية
« إلا بهم » .

(نهج البلاغة)

فبعد قتال العدو الخارجي للأهداف النبيلة ، وبعد إنقاذ المستضعفين ، والمضطهدين من سياط الظلم في الأرض يأتي دور الجهاد (لتصحيح الأخطاء الداخلية) ، وإزاحة الانحراف ، والديكتاتورية ، وإزالة الظلم من داخل الحكومة الاسلامية ، لتكون المركز هي القاعدة الأمينة لقيادة الله ، وتمركز المعسكر الاسلامي .

فالقتال الداخلي هو شأن من الشؤون الداخلية للمسلمين ، فقد افترض الاسلام بقوانينه في القرآن حالة البغي والخروج على النظام العام التي تقع بين طوائف المسلمين بعضها مع بعض ، أو بين الرعية وراعيها ، فوضع لها تشريعاً من شأنه أن يحفظ على الأمة وحدتها ، وعلى الهيئة الحاكمة سلطانها وهيبتها . ويقي المجموع شرّ البغي والتعادي :

« وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا
« بينهما . فإن بغت إحداهما على الأخرى ، فقاتلوا
« التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن فاءت
« فاصلحوا بينهما بالعدل ، واقسطوا ، إن الله
« يحب المقسطين . إنما المؤمنون أخوة ، فاصلحوا

« بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

٩-١٠ / الحجرات

هذه الآية تفترض حالة وجود اختلاف يقع بين طائفتين من المؤمنين ، ولا يمكن حله بالوسائل السلمية ، فتلجأ كل منهما إلى القوة ، فتوجب هذه الآية على الأمة ممثلة في حكومتها أن تنظر فيما بين الطائفتين من أسباب الشقاق ، وتحاول الاصلاح بينهما ، فإن وصلت إلى ذلك عن طريق المفاوضات، وأخذ كل ذي حق حقه ، ورد البغي ، واستقرار الأمن ، ونكث الديكتاتورية ، فقد كفى الله المؤمنين شرّ القتال ، وإن بغت إحداهما على الأخرى واستمرت على العدوان ، وأبت أن تخضع للحق وتنزل على حكم المؤمنين ، كانت بذلك باغية خارجة على سلطة القانون متمردة على النظام ، فيجب على جماعة المسلمين قتالها حتى تخضع وترجع إلى الحق .

إن القصد من هذا التشريع هو المحافظة على وحدة الأمة وعدم إفساح المجال لتفرقها ، لذلك فهذه الحرب طريق (للسلم) وقضاء على البغي والعدوان .

العسكرية الاسلامية ..

١ / اعداد السلاح :

« وأعدوا لهم مـا استطعتم من قوة ، ومن رباط
« الخيـــل ترهبون به عَدُوَّ الله ، وعدوكم ،
« وآخرين من دونهم ، لا تعلمونهم الله يعلَمُهُم ،
« وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يُوَفَّ إليكم ،
« وأنتم لا تُظلمون » .

٥٩ / الانفال

فالاستعداد بما في الطوق فريضة تصاحب فريضة الجهـاد . والنص القرآني يأمر باعداد القوة على اختلاف صنوفها، وألوانها، وأسبابها ، ويخص « رباط الخيل » لأنه الأداة التي كانت بارزة عند من كان يخاطبهم القرآن الحكيم أول مرة ..

●

١ – الأسلحة الحديثة :

ان الحركة السماوية الخالدة ، طبقت بكل أبعادهـا في زمن الاسلام المشرق بقيادة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . لكن الاتجاهات المشوهة مزقت القيادة الصحيحة الاسلاميـة ، وحرف الاسلام الصحيح ، وسُحقت القيادة السماوية، وهي ترن بصرخاتها من الجور والبغي – في المهد .

إن الله – سبحانه – أمر المعسكر الاسلامي ، باعداد القوة في الوقت الذي لم تفجر الذرة ، وكان على الرسول أن يهيىء للقتـــال بالتجهيزات والأسلحة التي كانت تعاصر ، وتطـابق ذلك الزمان .

أما الآن .. فيجب على القيـــادة الاسلامية ، والمعسكر الاسلامي ، أن يحمل نفس الأسلحة والمعدات الحربية التي يتسلح بها أعداء الله ، والطواغيت الظالمة ، والتي تتطلبها طبيعة هذا العصر – عصر الذرة – .

فيجب أن يحمل الجندي المسلم المجاهد – في سبيل الله – ، والجيش الاسلامي عامة ، نفس الأسلحة التي يحملهـــا العدو الخارجي والداخلي ، وحتى لا يستعد هو استعداداً كبيراً بوجه أحسن وأفضـل من المسلمين ، وذلـــك للهجوم عليهم لتحرير (الانسان) على (الأرض) .

إن الأسلحة الحديثـــة التي يجب على المعسكر الاسلامي إعدادها لمواجهة أعداء الله في الأرض .. هي : الصواريـخ ، والدبابات ، والقنابل الذرية والهيدروجينية إلى غيرها ..

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو :

هذه الأسلحـة التي تسبب الدمار للبشرية ، كيف يجوّز الاسلام حملها ؟..

والجواب هو :

إن أبرز ما يميز الروح الاسلامية ، هو سيطرة العنصر الاخلاقي على العلاقـات الدوليـة في السلم والحرب على سائر العلاقات فيه .

والتجرد من الأنانية القاتلة التي تعبد «الدولة» أو «الوطن».. «العنصر» أو «الطبقة» ، وتعدها غاية مقدسة فوق المثل ، والمبادىء والأخلاق .. هذه الروح التي تسود علاقات الدول والجماعات في سائر النظم التي عرفتها الأرض – ما عدا النظـام الاسلامي – فتفسد جو الحياة البشرية ، وتحيلها كحياة الذئاب في الغابة ، لا عهد فيها ولا ميثـاق ، ولا مجال فيها لغير الغدر والنفاق .

ولقد شهدت البشرية في الحقبة التي سيطرت فيها أوربا ، مثلاً من عهود الغابـة ، وصوراً من شرائع الذئاب ، شرائع

الذئاب . شرائع الغدر ، والدمار ، والظلم . وخيانة الأهداف والوعود . وتمزيق الاتفاقيات . كما شهدت من وحشية الحرب ما تخجل منه الوحوش وتأبى أن تأتيه . وكان آخر هذه الوحشية السافرة قنبلتا هيروشيما ، وناجازاكي .

وستشهد البشرية في مستقبلها القريب من ألوان الخيانة ، والغدر . ومن صنوف الوحشية ، والبربرية الجشعة ، ما يتفق روح هيكل هذه الحضارة المادية الكافرة والعادية ، التي لا تؤمن بدين ، ولا ُخلُق . ولا تقيد نفسها بمبدأ ، ولا ضمير ، مما يطبق الفكرة المادية المتعجرفة التي تسيطر على هذه الحضارة ، فتنفي من الحياة كل خير وحق ، غير المصلحة الضيقة المباشرة والعنصرية اللئيمة ..

وستظل فكرة الانسانية الواحدة ، بعيدة عن التحقق في ظل هذه « الحضارة ! » الحقيرة الروح .. المتعفنة الضمير ، مهما نودي فيها بفكرة التحرير والتصحيح ، والوحدة العالمية !

لأن هذه الوحدة لا بد أن تقوم على عقيدة إنسانية ، تكيف الروابط المادية ، وتطهر الحضارة الحديثة من سلبياتها المادية ، وتطعمها القواعد والأنظمة الاسلامية ، والايديولوجيات الصحيحة العامرة ، وتسير الآلات والأجهزة لبناء الحياة ، لا لتحطيم الحياة وهدمها .

إن الاسلام يحمل السلاح لإزاحة الانحرافات ، ولاكتساح

الباطل وسحق الطغـاة ، لتحرير الانسان من تحت سياط الظلم والطغيان، ونجاته من تدميره.لأجل استرداد الربوبية والحاكمية لقيادة شرائع السماء ، وكلمة الله ، لا لأجل المصالـح المادية ، وتحقيق القومية ، والعصبية العنصرية .

فحمل السلاح الحديث المعاصر واجب لإزهاق الباطـل . وإحقاق الحق ولولا السلاح الحديث لم يتمكن الاسلام أن يقوم على ساق ويأتي بأهدافه الرفيعة فالسلاح آلة رادعة ، لا أنهـا آلة فاتكة .

●

٢ - الجيش القوي :

على المعسكر الاسلامي ، أن يرعى الجندي المجاهد ، ويبني نفسيته ومعنوياته بأحسن وجه ممكن .. ويعلمـه الأساليب والخدع العسكرية الحديثة .

لأن الجيش هو عماد الدولة والحكم .

فهنا يعلـّم القائد الخالد ، الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أحد جنوده في حرب جمل، وهو ابنه محمد بن الحنفية، عندما أعطاه الراية .. وهو يقول :

« تزول الجبال ولا تزل ! عض على ناجذك [١] .
« أعِر [٢] الله جمجمتك . تِـــدْ [٣] في الأرض
« قدمك . أرْمِ ببصرك أقصى القوم . وغضّ
« بصرك [٤] . واعلم أن النصر من عنـد الله
« سبحانه » .

(نهج البلاغة)

فهذه التعاليم النفسية تخلق في الجندي المجاهد، معنوية عالية ، بشكل أن تزول الجبال ، ولكنه لم ولن يزول !

●

٣ – الاستراتيجية العسكرية :

ان الاستراتيجية الحربيـة هي إحدى المؤثرات للتسلط على العدو ، وإبادته ... فالاسلام يدعو المعسكر والجيش الاسلامي

---

(١) الناجذ : أقصى الضرس ، وإذا عضّ الرجل على أسنانـه اشتدت أعصابه .

(٢) اعر : يعني ابذل لله .

(٣) تد قدمك : ثبتها .

(٤) غض النظر : كفهُ . والمراد هنا : لا يهولنك منهم هائـل .

المجاهد في سبيل الله ، أن ينفذ الخطط الحربية من قبل القائد .

لأن الاستراتيجية الموفقة ، لها دراسات ، هي التي يبحثها القائد العام مع القادة الصغار ،وينظمها بشكل متقن ، ويعرضها على الجيش ، حتى لا يحرز العدو على المواقع الاستراتيجية التي ركز عليها الجيش والقوات ...

كما استخدم المسلمون لأول مرة ، في حرب بدر الكبرى ، أسلوب (الصف) في قتالهم ضد قريش ، بينما جمدت قريش على أسلوب (الكرّ والفرّ) ، وبذلك استطاع الرسول القائد (صلى الله عليه وآله وسلم) السيطرة على قواته ، والاحتفاظ باحتياط للطوارىء .

لقد كان أسلوب (الصف) في القتال ، أسلوباً جديداً .. بينما كان أسلوب (الكرّ والفرّ) أسلوباً بالياً .

وفي القتال كانت كلمة التعارف ، والرمز بين المسلمين : أحد .. أحد .. وبذلك استطاعوا أن يتعارفوا في المعركة .

إن ظروف المعركة ليست ظروفاً عادية ، ومن الضروري أن يكون هناك رمز خفي بين المسلمين المقاتلين .

خاصة وان المسلمين ، والمشركين حينذاك كانوا يتشابهون في كل شيء : في الأشكال ، وفي التسليح والتنظيم ، مما يزيد أهمية كلمة التعارف والرمز ، ويجعل لها قيمة أعظم مما لو كان الطرفان

المتحاربان يختلفان في أشكالهم ، وتسليحهم ، وتنظيمهم ..

فهنا أيضاً مع القائد العظيم الامام علي بن أبي طالب (ع) ، حينما زار مرة جيشه ، وضباطه على الجبهة ، فأعطى هذه الخطط الحربية لهم .. وهي :

« فليكن معسكركم في ُقبُل [1] الاشراف [2] .
« أو سفاح [3] الجبال ، أو أثناء [4] الأنهار ، كيما
« يكون لكم رداً [5] ودونكم مردّاً [6]. ولتكن
« مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين واجعلوا لكم
« رقباء في صياصي [7] الجبال ، ومناكب [8]
« الهضاب [9] ، لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة

---

(١) ُقبُل : قدام .
(٢) الاشراف : العلو والعالي.
(٣) سفاح : مكان الرد .
(٤) أثناء : منعطفات .
(٥) الرّدء : العون .
(٦) المَرَدّ : مكان الرد .
(٧) صياصي : أعالي .
(٨) مناكب : المرتفعات .
(٩) الهضاب : الجبل لا يرتفع عن الأرض كثيراً مع انبساط في أعلاه .

« أو أمن . واعلموا أن مقدمة القوم عيونهم ،
« وعيون المقدمة طلائعهم .

« وإياكم والتفرق .. فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً ،
« وإذا ارتحلتم ، فارتحلوا جميعاً ، وإذا غشيكم
« الليل فاجعلوا الرِّماح كِفّة [1] ، ولا تذوقوا
« النوم إلا غراراً [2] ، أو مضمضة [3] ».

(نهج البلاغة)

هذه هي الدروس التي تأخذ بها الكليات العسكرية في جميع الدول ، وهذه هي الخطط العسكرية التي تطبق في الحروب .

لكن العدو للاسلام يدرس ، ويخطط هذه الخطط العسكرية ويطبقها لنسف الحكومات الاسلامية ، ويدمر ، ويسحق المجتمعات المسلمة .. فالواجب على كل مسلم أن يهتم بهذه الناحية ، يقول الله تعالى :

« فرِح المخلفون بمقعدهم خِلافَ رسول الله ،

---

(١) الرماح كفة : أي بمثل كفة الميزان مستديرة حولكم محيطة بكم .

(٢) الغرار : النوم الخفيف .

(٣) المضمضة : أن ينام ثم يستيقظ ، ثم ينام ، تشبيهاً بمضمضة الماء في الفم .

« وكرِهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل
« الله ، وقالوا لا تنفِروا في الحر .. قل نار جهنم
« أشدُّ حراً .. لو كانوا يفقهون » .

٨١ / التوبة

خطاب الله – سبحانه – إلى الجبناء من المسلمين .. هل هم مسلمون حقاً ؟ أم لا ؟.. فإذا كانوا مسلمين، ويدّعون بأنهم من أنصار الله الحقيقيين على الأرض .. فلماذا يمحقون أمر الله تحت مصالحهم وعواطفهم الزائفة !؟..

فجزاؤهم نار جهنم .. لو كانوا يفقهون !

●

٢ / الاقتصاد القوي :

من اللازم على القيادة الاسلامية أن تراعي قوة الاقتصاد الداخلي حين الحرب ، حتى لا يفتقر الشعب إلى المأكولات والملبوسات في حالة الحرب .. ويهيىء للمقاتلين المجاهدين في الجبهة مخازن من الاقتصاديات لمدة حربهم .

في معركة بدر الكبرى كان المشركون ينحرون بين تسعة وعشرة آبال يومياً لتأمين الطعام للمقاتلين ، وكانت هذه الابال من ميراة قريش . أما المقاتلون المسلمون فقد كانوا يكتفون

غالباً بالتمر والسويق ، لأن حالتهم الاقتصادية كانت مترديّة حينذاك .

لكن المسلمون بنوا حوضاً من الماء في (بدر) وملأوه بالماء واستفادوا منه يوم القتال . أما بقية مياه بدر فغوروها لئلا يستفيد منها المشركون .

أما المشركون فكانوا محرومين من الماء يوم القتال ، مما جعل شجعانهم يحاولون اقتحام حوض المسلمين فلا يستطيعون إلى ذلك سبيلاً .

لقد كان لنقص الماء عند المشركين في يوم (بدر) أثر كبير في اندحارهم .

فالاقتصاد له أثره المهم ، والمؤثر في الحرب ، فعلى المعسكر الاسلامي المجاهد ، أن يبني اقتصاداً قوياً في داخل الحكومة (للشعب) ، وفي جبهة القتال في مواجهة الأعداء (للجيش).

●

٣ / القوة النفسية :

يعمل الاسلام،والقيادة الاسلامية على تقوية معنويات المقاتلين في سبيل الله ، فيعدهم بمضاعفة أجر العاملين ، وثواب المجاهدين، لأنهم يقاتلون في سبيل سحق الجبروت والطغيان ، وإنقاذ المستضعفين ، واستحكام العدالة ، وتعديل الانحرافات الداخلية،

ولدحض عوامل الشر والفساد :

« فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة
« الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل في سبيل الله
« فيُقتل أو يَغلِب فسوف نؤتيه أجراً
« عظيماً » .

٧٤ / النساء

فمن الناحية النفسية لهم الجنة . وقبل هذا يجب أن يؤمن المقاتل إيماناً كاملاً بالهدف ، وهو إعلاء كلمة الله في الأرض ، ويؤمن بعمله وعقيدته الصالحة .

وكان التشجيع في الحروب – التي قادها الرسول – ، هي العامل الأساسي لمعنويات الجندي .

●

٤ / القوة الاعلامية :

إن الحروب التي تشن في العالم،أفضل وأهم عامل في نفسيات الطرفين ، هو الاعلام المضاد .

فقبل مدة –مثلاً– تأسست في اسرائيل (وزارة الاعلام)، للحرب النفسي من طريق الاعلام والدعاية المضادة .

وفي كل الدول أصبحت القوة الاعلامية ، هي العامل المؤثر

المضاد ، في معنويات ، ونفسيات العدو المقابل..جيشاً وشعباً.

فالاسلام يحرض – في هذا المجال – باعداد قوة إعلامية ضد العدو الخارجي .

إن جملة (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) .. هي بمجمل القوى التي تمكن التشبث بها لإزاحة وسحق العدو من الناحية العسكرية، والسياسية، والاقتصادية، والاعلامية،والنفسية و..

فالاعلام .. عامل مؤثر في تحطيم معنويات العدو ، ويجب على القيادة الاسلامية الاستفادة منها في الحرب الاعلامية والنفسية ، ضد أعداء الله ، ولتحقيق أهداف وشرائع السماء ، على وجه الأرض .

التضحية .. من أجل الله

إن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ربّـا المجاهدين من الطليعة المؤمنة . وبنى من كل فرد ، مجاهداً ، قائـداً .. ليربي الآخرين ويقودهم .

فعندما نرى الجبين المشرق من التاريخ الاسلامي، عند ظهور الاسلام،وبالضبط..عندما كانت الأمة الاسلامية يقودها الرسول الأعظم .. نرى أن أصحابه ، كبلال الحبشي، وعمّـار بن ياسر، وأبو ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي .. كانو كالبنيان المرصوص يقاومون ويجاهدون ، ويواجهون كل دسيسة إجرامية ، من قبل مشركي قريش بكل شجاعة وصمود وذلك بفعل التربية الإيمانية والجهادية التي رسخها الرسول العظيم في نفوسهم .

هؤلاء أدركوا الحركة العالمية التي يقودها الرسول القائد(ص)، وأدركوا لماذا يجب عليهم أن يضحوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل

الله والعدالة الاجتماعية ، وإحقاق الحق والحقيقة ، وهـــدم الطواغيت في الأرض .

ان الطليعة المجاهدة كانت رهن إشارة القيادة الاسلامية ، أولئك حملوا السلاح ضد البغي بإيمانهم .. بالعمل ، والعمـل لأجل الهدف الطاهر الذي اعتنقوه.. ضحّوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ..

●

التضحية بالمال والنفس :

الذي يعتنق مبدءاً معيناً ، عليه أن يخلص لمبدئه هــذا ، وعليه .. أن يعمل جاهداً في سبيل ترسيخه في النفوس، ونشره على أوسع المستويات .

ذلك لأن اعتناق دين ما ، أو مبدأ مــا ، دون العمل من أجل توسيع رقعته ، ودون العمل في سبيل نشره ، لا يعتبر إلا نفاقاً مع ذلك المبدأ ..

المسلم الذي لا يعطي كل ما يطلب منه إسلامه ، ليس مسلماً حقيقياً ..

المؤمن الذي لا يستعد للتنازل عن كل مصالحه ، ومنافعه

من أجل إيمانه ليس مؤمناً حقاً .

من هنا .. كانت الدعوة الاسلامية إلى التضحية .. بالمال والنفس ، والجهاد في سبيل نشر رسالة السماء ..

إن التضحية ، هي السند الذي يعتمد عليه تقـدم الدين الاسلامي .. ونشر معالمه وترسيخ أفكاره ، ومبادئه في الحياة .

ولولا التضحيات الضخمة ، والمتتالية في تاريخنا لما وصل إلينا الإسلام ، ولما كان هناك مسلم واحد ..

فتضحيات الامام علي (عليه السلام) .

وتضحيات عمّار . وأبو ذر . ومالك . وميثم .

وتضحيات الامام الحسن . والامام الحسين ..

وآلاف التضحيات الأخرى التي تنازل فيها أصحابها عن كل مصالحهم ، ومنافعهم الفردية ، هي التي بنت للاسلام كيانه الشامخ ، وصرحه العظيم .

واليوم ..

حيث نرى التخلف ، والتأخر ، والانحطاط ..

واليوم ..

حيث لا حول لنا ولا قوة .. ضعفاء . صغار .. يحتقرنا

الآخرون لأننا لا نملك كياناً واقعياً ..

اليوم .. نحن أحوج ما نكون للتضحية والفداء ، لاسترجاع كرامتنا ، وإعادة ديننا إلى واقع الحياة ..

فهل من تضحية بالمال والنفس ، من المسلمين في هذا اليوم ؟

إن التضحية والجهاد في سبيل الله.. لها أهميتها القصوى عند الله تعالى . قال سبحانه :

« والذين آمنوا ، وهاجروا ، وجاهدوا في سبيل
« الله . والذين آوَوْا ، ونصروا أولئـك هم
« المؤمنون حقاً ، لهم مغفرة ورزقٌ كريم ».

٧٤ / الانفال

والآية التاليـة أيضاً تصرح بأجر المضحين والمجاهدين في سبيل الله :

« ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة،ولا يقطعون
« وادياً إلا كُتب لهم ليجزيَهُمُ الله أحسن ما
« كانوا يعملون » .

١٢١ / التوبة

فالجهاد في سبيل الله – بالمال والنفس – يجب أن يكون

شعار كل فرد من المؤمنين بالرسالة الاسلامية .

وهذه المرتبة لا يحرزها إلاّ المؤمنون ، الواقعيون الذين أدركوا معنى الحياة الخالدة في الآخرة ، ومعنى الجنة والنعيم فيها .

●

العقد الالهي :

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم
« بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله ، فيقتلون
« ويُقتلون .. وعداً عليه حقاً في التوراة ،
« والانجيل ، والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله
« فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو
« الفوز العظيم » .

١١١ / التوبة

فماذا هي نتيجة الجهاد بالأموال والأنفس ، والقتال ضد الظلم والطغيان ؟..

إن الله – سبحانه – يبيع الجنة : لمن يجاهد ويقاتل في سبيله ، وهذا القتال ، والجهاد من قبل المعسكر الاسلامي هو

ثمن لجنّة الله .

●

درجة المجاهد .. عند الله :

إن التاريخ مليء بالثورات التصحيحية ، وصفحاته ملونة بدماء الثوار .. الذين قاموا لأهدافهم ، وقاوموا الطغاة ، وواجهوا كل الصعوبات والمشاكل لأجل هدفهم ، ورسالتهم الغالية .

وكان الثائرون المؤمنون يعيشون دائماً في أشد حالات الارهاب والتشريد ، وتحت سياط التعذيب وهدف الرشاشات والمدافع ، وأمام المشانق .

هؤلاء هم الثوّار الذين سجّلوا اسمهم ، بتضحياتهم ، وبجهادهم ، في أرشيف المجاهدين ، والأبطال الثائرين .

فهذه .. هذه دنياهم المشرقة ، التي ملأوها بجهادهم ضد الباطل والطغيان .

ولكن ماذا عن آخرتهم ؟ ..

في هذه الآية التالية ، يبين الله درجتهم عنده في الحياة الخالدة :

« لكن الرسول ، والذين آمنوا معه ، جاهدوا
« بأموالهم ، وأنفسهم .. وأولئك لهم الخيرات
« وأولئك هم المفلحون .

« أعدّ اللهُ لهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار
« خالدين فيها ، ذلك الفوز العظيم » .

٨٧-٨٨/ التوبة

ففي هذه الآية ، يصرح الله - سبحانه - مرتبة ، ودرجة المجاهدين الذين بايعوا أنفسهم للقيادة السماوية ، في سبيل الله ، واشتروا الجنة ؛ ودرجتهم الخلود في الحياة .. ذلـك الفوز العظيم .

ولكن ماذا عنّا ، نحن القاعدون عن الجهاد في سبيله ؟..

إن عقاب الهروب من الجهاد هو نار الله الموقدة ، التي تطلع على الأفئدة .. بئس العقاب هو ، للهاربين من تحمل مسئولياتهم في سبيل الله ،والذين يذكرون التبريرات الوهمية لجبنهم ويخشون من المقاتلة ، والتضحية في سبيل أهداف الإسلام .

وهنا يصرح القرآن في ذمّ المنافقـين القاعدين ، ويبين عقابهم :

« وجاء المعذّرون من الأعراب ليؤذن لهم ، وقعد

« الذين كذبوا الله ورسوله ، سيصيب الذين
« كفروا منهم عذاب أليم » .

٨٩ / التوبة

وأيضاً يقول تعالى في هذا المجال :

« يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا
« في سبيل الله ، اثاقلتم إلى الأرض .. أرضيتم
« بالحيوٰة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة
« الدنيا في الآخرة إلا قليل .

« إلاّ تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ، ويستبدل
« قوماً غيركم ، ولا تضرُّوه شيئاً ، والله على كل
« شيء قدير » .

٣٨–٣٩ / التوبة

وفي خطبة من خطب الامام علي بن أبي طالب – عليه السلام – الذي يصف المتخلفين عن الجهاد ، يقول :

« يا أشباه الرجال ، ولا رجال ! حلوم الأطفال ،
« وعقولُ ربّات الحجال [1] ، لودِدْت أنّي لم

(١) الحجال : جمع حجلة ، وهي القبة .

« أرَكُم ، ولم أعرفكم معرفة –والله – جرّت
« ندما ، وأعقبت سَدَما [1] ، .. قاتلكم الله !
« ملأتم قلبي قيحاً [2] ... » .

(نهج البلاغة)

فعقاب الهروب من القتال، والجهاد في سبيل الله، هو الجحيم، والهلاك .

●

الاعفاء :

لكن هناك عفواً عن الذين لم ، ولن يتمكنوا وليس باستطاعتهم الالتحاق بالمعسكر الاسلامي ، وثم القتال والجهاد بالأموال والأنفس .. وتصرح الآية بهذا القانون وتقول :

« ليس على الضعفاء ، ولا على المرضى ولا على
« الذين لا يجدون ما ينفقون حرج ، إذا نصحوا
« لِلهِ ورسوله ، ما على المحسنين من سبيل ، والله
« غفور رحيم .

---

(١) سَدماً : الهَمّ ، مع أسف .

(٢) القيح : ما في القرحة من الصديد .

« ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملَهُم قلت
« لا أجد مـا أحملكم عليه تولوا وأعينُهُم
« تفيض من الدمـع حَزَناً ألاّ يجدوا مـا
« ينفقون » .

التوبة / ٩١-٩٢

النصر ..
من الله ..

يقول الله تعالى :

« إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم
« بألف من الملائكة مردفين .

« وما جعله الله إلا بشرى ، ولتطمئن به قلوبكم ،
« وما النصر إلا من عند الله ، إنّ الله عزيز
« حكيم .

« إذ يغشيكم النعاس أمنة منه ، وينزل عليكم من
« السماء ماء ليطهركم به ، ويذهب عنكم رِجزَ
« الشيطان ، وليربط على قلوبكم ، ويثبّت به
« الأقدام .

« إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا
« الذين آمنوا ، سألقي في قلوب الذين كفروا

« الرعب ، فاضربوا فوق الأعنـاق ، واضربوا
« منهم كل بنان » .

٩-١٢ / الانفال

إن المجاهدين الذين يقاتلون في سبيل الله، ويقتلون الكفار، ويهدمون صرح الفساد ، ثم يقتلون من أجل هدفهم ، ورسالتهم السماوية الثمينة هؤلاء يحملون العقيدة الراسخة لشرائع السماء ، ولربوبية الله - سبحانه - ، وعقيدة الحياة الخالدة .

فإذا كان هدفهم من أجـل الله ، فالله هو الذي ينصرهم ، ويهزم العدو بإرادته ، لكنه بوسيلة ، وعن طريـــق الجيش الاسلامي المجاهد .

يقول الله - سبحانه - في هذه الآية العظيمة :

« قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في
« سبيل الله ، وأخرى كافِرة يرونهم مِثلَيْهم
« رأي العين ، والله يؤيّد بنصره من يشاء ، إن
« في ذلك لعبرة لأولى الأبصار » .

١٣ / آل عمران

في أول حرب للمسلمين (بدر الكبرى) التي قادها الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .. ضد كفار قريش كان عدد

الجيش الاسلامي ٣١٣ .. مع قلة العتاد وقلة الموارد الاقتصادية ، والتجهيزات الحربية .. مع كل هذه العوامل – عوامل الهزيمة– كانت القوة العليا تساند الجيش الاسلامي ، وهي قوة السماء ، ويد الله القدير .

فعندما يكون الهدف خالصاً لله ، ولأجل القيادة السماوية الخالدة ، ولأجل شرائع الله ، وحاكمية الله على الأرض ، وتحرير الانسان من جميع القيود ، والعوائق السافرة ، فمن الحتم أن يكون الله معهم ، وينصرهم بحكمته .

« من كان مع الله .. كان الله معه » .

فالنصر ، والهزيمة تأتي من مشيئة الله .. لكن مع الجهاد الوافر .

فإذا قلنا ، النصر من عند الله .. ليس معناه أن نجلس في أماكننا ، ونقول الله يريد هكذا .. والله على كل شيء قدير . هذه الأوهام ، لن تؤدي إلاّ إلى الفشل بالنسبة للأمة ، وأهدافها .

فيجب أن يكون العمل منا ، والتوفيق من عند الله تعالى .

فماذا هي العوامل الطبيعية للنصر؟.. غير نصرة الله سبحانه وتعالى ؟..

●

عوامل النصر الطبيعية :

« يا أيهـــا الذين آمنوا إذا لقيتم فئة ، فاثبتوا ،
« واذكروا الله كثيراً .. لعلكم تفلحون .
« وأطيعوا الله ورسوله ، ولا تنـازعوا فتفشلوا
« وتذهب ريحكم ، واصبروا ان الله مع الصابرين
« ولا تكونوا كالذين خرجـــوا من ديارهم بطراً
« ورئاء الناس ، ويصدون عن سبيل الله ، والله
« يعملون محيط » .

٤٥-٤٧ / الأنفال

فهذه هي عوامل النصر الحقيقية : « الثبات عند لقاء العدو ، والاتصال بالله ، بالقلب ، والطاعة الكاملة للقيادة العامة ، وتجنب النزاع والشقاق ، والصبر على تكاليف المعركة ، والحذر من البطر والرئاء ، والبغي » ..

ونتمكن أن نقسم هذه العوامـل ، والأسباب في بندين وهما :

١ / القيادة الرشيدة ..

٢ / الجيش الممتاز ..

●

١ / القيادة العسكرية الرشيدة :

هنا نتطرق إلى الأنظمة العسكرية الحديثة ، ونستنتج مزايا القائد الشخصية المثالية [١] :

« ينحصر أهم واجب للقائد في إصدار القرارات . ولكي تكون قراراته صحيحة ، لا تكفيه الشجاعة الشخصية ، ولا الإرادة القوية الثابتة ، ولا تحمل المسئولية بلا تردد .. بل فضلاً عن ذلك، عليه أن يكون واقفاً وقوفاً تاماً على مبادىء الحرب، وقادراً على إبداء الحكم السريع الواضح ، وذا مخيلة مقرونة بمزاج لا تأخذه نشوة الفوز ، ولا تثبّط عزيمته كارثة الخيبة ، وأن يكون سابراً غور الطبع البشري .

ويتمكن القائد من المحافظة على معنويات قواته وتنفيذ أوامره بالثقة والولاء اللذين يبعثهما في نفوس رجاله ، بقدر ما يتمكن من ذلك بوساطة الضبط .

فالشخصية القوية ، ومعرفة الطبع البشري ، وأصالة الرأي الموزون ، والتفاهم مع المرؤوسين ، عوامل أدبية جوهرية في تنشئة الكفائة العسكرية ، فعلى القائد أن يغتنم كل فرصة سانحة للاتصال بمرؤوسيه الآمرين ، وقطعاته للوقوف على صفاتهم ،

---

(١) الرسول القائد .

وما فيه من جدارة » .

فهذه هي الصفات المثالية للقائد :

١ – القابلية على إعطاء القرار الصحيح .

٢ – الشجاعة الشخصية ..

٣ – الإرادة القوية الثابتة ..

٤ – تحمل المسئولية بلا تردد ..

٥ – معرفة مبادىء الحرب ..

٦ – نفسية لا تتبدل في حالتي النصر والاندحار..

٧ – سبق النظر ..

٨ – معرفة نفسيات مرؤوسيه ، وقابليتهم ..

٩ – الثقة المتبادلة بين قيادة الجيش ، والجنود ..

١٠ – المحبة المتبادلة بينهما – القائد ، والجنود – ..

١١ – شخصية قوية نافذه ..

١٢ – قابلية بدنية ..

١٣ – ماضٍ ناصعٍ مجيد ..

١٤ – الإيمان الكامل بنصر الله سبحانه ..

هذه هي الصفات المثالية للقائد المتاز الصحيح .. وهي

جاءت نتيجة لدراسة شخصيات أبرز القادة في التاريخ ، وفي طليعتهم الرسول العظيم .. محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – .

ولكن كل هذه الصفات المثالية قليلة جداً بالنسبة إلى صفات الرسول القائد (ص) .. فهناك صفات أخرى يتحلى بها النبي (ص) لم تتطرق إليها الكتب العسكرية .. لأنها صفات يصعب على القادة التحلي بها ، بل هي فوق طاقة البشر بصورة عامة ، وذوي السلطان منهم .. بصورة خاصة .

فالقيادة الصحيحة الممتــازة ، هي العامل والسبب الأول لإحراز كأس النصر والفوز .

●

٢ / الجندي المجاهد الممتاز :

تتخلص مزايا الجندي المتاز بما يلي :

١ – الاخلاص في القتال ..

٢ – العقيدة الراسخة ..

٣ – المعنويات العالية ..

٤ – الانضباط القوي ..

٥ – الشجاعة الصارمة ..

٦ – التدريب الجيد ..

٧ – التنسيق المتكامل ..

٨ – التسليح الممتاز ..

تلك هي مزايا الجندي الممتاز في كل زمان ومكان .

فهل كان جنود الرسول محمد (ص) يتحلون بهـــذه المزايا العالية ، التي تجعلهم جيشاً كفوءً من كافة الوجوه ، أم انهم لا يختلفون بشيء في ذلك عن الأعراب الذين كانوا ينتمون إليهم؟

والحق أن الرسول الأعظم هو الذي جعل جيش المسلمين يتحلى بكل هذه الصفات والمزايا الرفيعة .. فقد بذل غاية الجهد، ليغرس كل هذه المزايا في نفوس المسلمين .. وبذلك كوّن منهم قوة لا تُغلب... وكانوا قبل ذلك كغيرهم من القبائل الأخرى، تطغي عليهم الأنانية الفردية، ولا يعرفون معنى الضبط، والنظام .. وليست لديهم عقيدة بالمعنى الصحيح .

إن يد القدرة الإلهية ، صنعت من محمد بن عبد الله ، رسولاً وقائداً للحياة .. بكل ما في الحيـــاة من أبعاد : اجتماعية وسياسية .. اقتصادية وعسكرية وتربوية ، و... و..

وتمكن الرسول أن يغير المجتمع الجاهلي من مبادئه، وتقاليده الجاهلية .. إلى مجتمع إسلامي ، ذي ثقافة حضارية متينة .

وغلبت ..
الفئة القليلة ..

إن النتائج العسكرية لكفاح المسلمين المجاهدين ، – في سبيل الله – ، بقيادة الرسول العظيم محمد (ص) .. كانت متوقعة منذ بدأ هذا الكفاح . لأن الرسول أعدّ كافة وسائل النصر على أعدائه الكثيرين ، ولهذا كان واثقاً من النصر .. في كل حروبه ، وغزواته .

إن الحكومة المسلمة تصطدم مع القوة المعادية ، المعادية لله ، ولحكومة الله على الأرض .. كما اصطدم المعسكر الاسلامي بقيادة الرسول العظيم بالكفار .

في حروب الرسول ، اصطدمت قوتان غير متكافئتين :

كان للمسلمين قيادة موحدة مثالية هي قيادة الرسول (ص) رشحته لها كفاءة ممتازة ، وعبقرية فذة .. التي أرسلها قدرة الله !

وكان لأعداء المسلمين المجاهدين في سبيل الله : قوّاد غير أكفاء ، رشحتهم لها وراثة الآباء والأجداد . وكان قتال المسلمين دفاعاً عن عقيدتهم وأهدافهم ، ولتوطيد أركان الاسلام،وتحرير الانسان في كل الأرض . وتهديم صرح الفساد والظلم والطغيان.. فحربهم عادلة مثالية . بينما كان قتال أعدائهم لتوطيد وترسيخ أركان الظلم ، وجذور العدوان ، والشر ، والفساد ، فحربهم غير عادلة .

وكان للمسلمين إخلاص وعقيدة راسخة..وأهداف معلومة ؛ ولم يكن لأعدائهم عقيدة ، ولا إخلاص ، ولا أهداف طاهرة .

تلك هي أسباب انتصار الفئة القليلة على الفئة الكثيرة .. وتلك هي أسباب انتصار كل حركة وكل قوة في كل زمان .. وفي كل مكان .

وفي هذا المجال .. تصرح الآية القرآنية الشريفة ، بقولها :

« .. كم من فئة قليلة ، غلبت فئة كثيرة ،
« بإذن الله .. والله مع الصابرين » .
٢٤٩ / البقرة

إن الأرض يرثها العباد الصالحون ، المجاهدون في سبيل الله ، والعدالة ..

فإلى تغيير حقيقي لاجتثاث أصول الفساد ، والشر من واقع المجتمع المعاصر . لتكون كلمة الله هي العليا .. وكلمة الباطل والفساد هي السفلى ..

والنصر من الله .. وان الله مع الصابرين .

١ / ١ / ٩٥ هـ

١٣/ ١ / ٧٥ م

فهرس

هذا الكتاب

.. هل الجهاد ضرورة . . ؟

ان حقائق الحياة تقول ، ان الجهاد هو الضرورة الوحيدة التي لا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الاحوال .

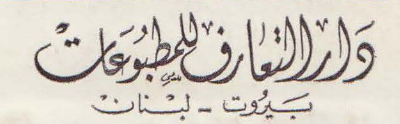
فما دام هنالك ظلم . . فلا بد ان تكون : « مقاومة » .

وما دام هنالك مقاومة . . فـــلا بد ان يكون هنالك : « موت » !

ولذلك كان الجهاد : ضرورة . .

ضرورة ردع الظالم ، وضرورة انقاذ المظلوم .

« من المقدمة »



الثمن : ٢٠٠ ق. ل.